رواية

مَن؟

كيرلس صدقي

مَن ؟

ببساطة مين الكلمة المحورية لأسئلتنا في الرواية دي هتلاقي

لما كنا صغيرين و خايفين بننده نقول يا ماما لما نكبر ننده نقول يا مين ؟

لما القدوة تنهار و اللي بنتعلم منهم يغلطوا غلطات اسوأ من غلطاتنا نتعلم من مين ؟

لما نشتاق للميت بنروحله المدافن لكن لما نشتاق للحي اللي اتغير نروح لمين ؟

أسئلة كتير شغلتني من وقت و فكرت فيها كتير مالقتش حل

ولا أنصح بأنك تبحث عن شخص لان مين سؤال محوري و الرد عليها لازم يكون شخصية محورية كالله

الفصل الأول:

تدخل سيارة الإسعاف مستشفى القصر العيني مسرعة من مدخل الطوارئ، تقف فجأة، ويقفز منها المسعف والسائق لإنزال المصاب في حادث طريق. دخلا بالمصاب راكضين إلى قسم الطوارئ. وعند ملء بيانات الدخول، اضطر الممرض لإخراج ما في جيب المصاب، فوجد هوية شخصية للمصاب ملطخة وجهها بالدماء.

مكتوب بها:

وائل محسن منير محسن

القاهرة، مصر

1979/4/16

الفصل الثاني:

فقد وائل وعيه بسبب كثرة الكدمات والصدمات، فعصبوا عينيه حفاظًا عليها ليتلقى علاجه بعدها بأيام.

وضعوه على سرير المرضى مكبل اليدين، ولا يوجد أي دليل على أنه على قيد الحياة سوى نفسه المتباطئ.

وائل، الطبيب النفسي المفكر والمحلل، توقع أساتذته أنه سيكون بارزًا في علم النفس، إلا أن رهانهم عليه لم يكتمل، حيث أنه الآن في صراع مع الموت، والمحتمل هزيمته.

أفاق وائل وهو غير متذكر أي شيء عن حياته؛ لا عمره ولا ملامحه ولا ما تعلم، إلا أنه شعر بخوف عميق من الظلام وفقدان الحركة.

وائل: إيه ده؟ أنا مش شايف... أنا مش قادر أتحرك وفي حاجة على عيني... هو أنا مخطوف؟

طب أنا بخاف من الضلمة.

ممكن يكون حد بيعمل فيَّ مقلب؟

لكن أنا حاسس بوجع غريب أوي.

وفي أعماق خوفه، خرج صوته مناديًا أمه بنبرة طفولية:

"ماما... ماما... أنا خايف، ممكن تيجي؟"

تفاجأ وائل من خشونة صوته غير المسموع إلا منه، فقال:

"إيه ده، هو أنا كبير ولا صغير؟ أنا فاكر إني كنت بلعب مع أمي من شوية.

طب هي راحت فين؟

وأنا فين؟"

تذكر وائل حينها أنه كبر وصار رجلًا مسؤولًا، فباغته سؤال:

"حين كنت صغيرًا أنادي أمي عند الخوف، أما الآن فعلى من أنادي؟

وأي اسم يكون المطمئن في الظلام؟"

وغفى مرة أخرى وهو يفكر في "من؟"

الفصل الثالث:

يوم 12 مارس 2002 هو اليوم الذي تسلّم فيه وائل عمله كطبيب ومعالج نفسي في مصحة تأهيل ما بعد الإدمان.

دخل وائل مكتبه، وضع موبايله ومفاتيحه أمامه، ثم قال لمساعده شريف أن يأتي بالمعالجين المساعدين، وهم الذين تعافوا من الإدمان لكنهم ليسوا أطباء.

دخل اثنان: وليد وأمجد.

وليد: شاب في منتصف الثلاثينات.

أمجد: رجل أربعيني، صارع في طريق الحياة، أدمن المخدرات كي ينسى صراعه، وانتكس مرات عدة.

أما وليد، فقد تعافى من الإدمان مرة واحدة ولم ينتكس ولو لمرة.

دخلا ورحبا بالدكتور وائل وجلسا يتكلما معه، وأعطاه تقريرًا عن المتعالجين.

فلفت نظر وائل "عم طه"، كما تحدثا عنه.

رجل في أواخر الخمسينات، مصاب باكتئاب حاد، لا يتكلم مع أحد ولا يلتفت لهم حين يتحدثون.

فقال وائل:

"عايز أشوف عم طه ده ماله.

مش معقول أبدًا الكام سنة الفاضلين في عمره يقضيهم بعيد عن أهله."

وليد: "ما تحاولش يا دكتور، ده بقاله سنة على كده."

وائل: "لأ، أنا يهمني أعرف ماله."

أمجد: "اللي تشوفه يا دكتور. هقوله إن حضرتك عايزه."

خرج أمجد لينادي "عم طه"، وخرج وليد ليراقب باقي المتعالجين.

بعد دقائق، دخل "عم طه" صامتًا وظل واقفًا حتى قال له الدكتور وائل أن يجلس.

جلس وأخرج علبة سجائر وأشعل منها واحدة، بدا عليه رفضه لوائل وللكلام معه.

تكلم الدكتور وائل بهدوء وقال:

"تعرف يا عم طه، انت عندك حق في إنك ما تتكلمش.

لأنك لو اتكلمت مع أي حد، مكنش هيفهمك.

وأنت شكلك راجل مثقف وصاحب موقف."

نفخ طه دخان سيجارته للأعلى ولم يرد.

عاد وائل وقال بنفس الهدوء:

"هو أنا يا عم طه لو طلبت منك نطلع نتمشى بره شوية هتوافق؟"

نظر طه تجاه وائل واضعًا السيجارة في فمه مرة أخرى ولم يتكلم.

ثم عاد وائل ليقول:

"بص يا عمي، أنا هنا عشان أساعدك، مش عشان أحكم عليك أو أضايقك.

أنا في سن ولادك، ومش هتكلم معاك أبدًا في حاجة انت مش عايز تتكلم فيها.

ومش هتكلم عن اللي خلاك تتعاطى مخدرات، لكن عايز أعرف مين اللي وصلك إنك تفضل الصمت عن الكلام.

مين اللي خلاك تحس بكده؟"

نظر طه للأسفل، وبدت الدموع في عينيه.

بصوت يحمل الأسى، قال: "أيمن."

قام منصرفًا من أمام وائل، وكانت هذه الكلمة الوحيدة التي نطق بها خلال عام كامل.

وكأن شفتيه كانت تتمخض بالكلمة.

لكن وائل اعتبر نفسه منتصرًا، لأنه جعل رجلًا ينطق بعد سنة من الصمت.

الفصل الرابع

طه: بص يا بني، لو ما كنتش شفت فيك حاجة مختلفة، مكنتش اتكلمت ولا نطقت بكلمة.

وائل: صدقني، أنا عايزك ترتاح بس.

طه: سألتني مين أيمن؟

وائل: أيوة، يا عم طه، مين أيمن ده اللي خلاك تسكت سنة؟

طه: أيمن ده، يا وائل...

صمت طه قليلاً ثم أشعل سيجارة كما تعود، وأخذ نفساً وأطلقه في الهواء، كمن يستعد لتفجير مفاجأة صادمة، وقال بحزن بالغ:

ده اللي خلاني أبطل مخدرات. أنا كنت بتعاطى جرعات أكبر مما تتخيل من الهيروين، وأيمن ده هو اللي أقنعني أبطل.

وذهب طه في خياله متذكراً ما حدث:

وصل أيمن لطه معنفاً إياه على تعاطيه مخدر يفقده عقله.

أيمن: انت هتفضل طول عمرك كده يا أخي؟ انت مش ربنا تاب عليك من الهباب ده. بص يا ده، انت عارف أني شغال في مصحة لعلاج المدمنين، تعالى يا ابن الناس اتعالج، خلي بيتك وبناتك يتشرفوا بيك ولو لمرة.

تذكر طه كم من مرة استحت بناته أن ينادوه "أبي" أمام الناس. لكنه لم يتخيل نفسه من دون باب السعادة الواسع الذي إذا استنشقه انتشى وارتاح لحظات من دون ألم ولا حزن، هدوء مريح، فقال:

أنا كده كويس يا أيمن، وبعدين أنا بعمل إيه يعني؟ ومين بيتضر لو أنا مدمن أو مبطل؟ ده يخصني لوحدي.

نظر أيمن لطه بنظرة تحدي وقال:

وأنا مش هسيبك لما تموت بجرعة زيادة وتجيب العار لبناتك.

وفي الصباح، وجد طه رجلين يقتحمان غرفة نومه، حقنوه فشلوا حركته، وحملوه فاقد الوعي.

استفاق بعد وقت لم يعلمه، لكنه كان يرتعش بقوة ويريد أن يأخذ جرعة المخدر، فيدخل رجل غريب يحقنه مرة أخرى ليعود للنوم. لا يتذكر متى أكل أو متى شرب، لكنه متأكد إنه حي، يأكل ولا يذكر أبداً.

بعد أسبوعين، ذهب لمصحة تأهيل ما بعد أعراض الانسحاب، فوجد حل اللغز وهو من أتى به إلى هنا. وجد أيمن المعالج، صديق طفولته، ففتح أيمن ذراعه لطه وقال له:

انت دلوقتي مش هتحتاج خالص للمخدرات، بس هتقعد هنا شوية عشان تتعود على عادات غير الإدمان.

شعر طه بالندم لأول مرة، فرمى نفسه في حضن أيمن وبكى كثيراً، وقال:

عمري ما كنت هسامحك لو سيبتني أموت على حالتي دي، وهفضل مديون لك طول عمري بإني ينفع أشوف نفسي إنسان عادي.

رد أيمن متسائلاً:

انت عايز تبقى عادي؟

طه: يابني، دي نعمة. إنك تمشي وتشتغل من غير ما تحتاج مخدرات، دي نعمة. تعرف كنت بحسد الزبال وهو شايل القفة وماشي، وأنا ماقدرش أقوم من السرير من غير جرعة واثنين.

هدأ طه وجلس ليتعرف على شكل حياته الجديدة، رتب أغراضه وتمدد على سريره في المصحة، وأخذ رحلة علاج كان يرى أيمن بها طوق نجاته. لم

يأخذ قراراً إلا حين يناقش أيمن، وكأن مرجعه الوحيد في الحياة أيمن. وكان أيمن جديراً بثقة طه جداً. ولم تهتز الثقة إلا في صباح يوم الخميس، حين انتظروا أيمن ليخرج لهم من غرفته وتأخر جداً.

فدخل طه ليرى أيمن، فوجد كمية هائلة من الهيروين في غرفة أيمن الممنوع دخولها لأي من المتعالجين، وأيمن نفسه ساقطاً على أرض الغرفة. ففزع طه وخرج لمدير المصحة ليتصل بالإسعاف. حملت الإسعاف أيمن جثة هامدة، وبعد التحقيق في موت أيمن، وثبوت موته بغير شبهه جنائية، أوضح الطب الشرعي أن الميت كان يتعاطى المخدرات بكميات غير طبيعية، وأن سبب موته هو جرعة زائدة.

نظر طه لوائل موجهاً سؤالاً:

لما اللي يعلمونا الصح ويقولوا ده حلال وده حرام، نلاقيهم بيضحكوا علينا وبيخدعونا وبيغلطوا غلطاتنا؟ وأكتر نثق في مين ونتعلم من مين؟ بعد كده، يا بني، لاقيت الكلام مع الناس مش جايب همه، فكان لازم أسكت. ولما لاقيتك في سن بناتي، قلت يمكن تكون غيرهم.

وصمت طه بحزن ثم استأذن دكتور وائل ليذهب.

قام وائل، أمسك ورقة وكتب بها:

حين يخذلنا من نستند عليه كي نحيا، إلى من نذهب؟

الفصل الخامس

بعدما سمع وائل عم طه، قام أمسك دفتر مذكراته اليومي وكتب به:

وحشتيني، ووحشني صوتك وعينيكي. وحشني حتى خناقنا. جاء في بالي النهاردة سؤال: هو انتي ماسألتيش نفسك، إزاي بيقول بيحبك من سنين، وانتِ من سنة واحدة كنتِ حبيبتي أنا؟ ده معناه إنه اتعلق بيكي وأنا موجود. طب ما كده يبقى خاين. معقول في يوم وليلة يبقى مخلص؟

صحيح نسيت أقولك، شوفتك امبارح بالليل، كنتِ قمر قوي. مشيت في شارع ما دخلتوش من شهور، لكن حاجة جوايا قالتلي أدخل الشارع ده هشوفك. تعرفي، كل شارع بمشي فيه بدور عليكي في كل خطوة. شايفك وحاسس بفرحتك معاه، لكن احتمال قربي منك اللي هموت عليه يضايقك. عموماً افرحي، لكني أحب أوضح لك حاجة: طول عمري عاقل إلا أني اخترت الجنون بيكي.

طرق باب مكتب وائل ودخل أمجد طالباً الجلوس مع وائل، فغلق وائل دفتره وجلس مقابل أمجد.

أمجد: دكتور، كنت عايز أسالك في حاجة حساسة شوية.

وائل: اتفضل.

أمجد: كنت عايز أسأل، هو ممكن واحد في سني وظروفي يرتبط، أقصد يتجوز يعني؟

وائل: وما يتجوزش ليه؟

أمجد بعين دامعة قال: أنا كبرت، وقربت عالخمسين. واتعالجت من الإدمان كذا مرة، تفتكر مين عاقلة تقبل ترتبط بواحد كان مدمن؟

وائل: أحب أنك تقولي وجهة نظرك.

أمجد: أظن اللي تقبل بواحد زيي ممكن تكون أرملة أو واحدة الدنيا خدت منها، فعايزة تتجوز أي واحد.

وائل: وإيه شايف إنك أي واحد؟ مفيش فيك صفة واحدة تميزك؟

أمجد: ما قدامها رجالة الدنيا كلها. إيه يخليها تختارني أنا؟

وائل: اللي يخليها تختارك هو اللي يخليها تشوفك أهم راجل في الدنيا.

أمجد: ممكن يكون شكلها إيه اللي تحب واحد مفيهوش ميزة وتراه أكتر واحد يستاهل؟ أو بمعنى أصح، مين اللي تعمل كده؟

استأذن وائل من أمجد كي يدون سؤاله فكتب:

من يكون لنا ملجأ ويرى بنا اختلافاً ونحن نعاني من ما يعانيه الكون؟

الفصل السادس

دخل أمجد ليقول إن هيثم محمد عاد مجددًا للمصحة بعد خروجه منها منذ ثلاثة أشهر فقط.

وائل: هل رجع يشرب يعني انتكس؟

أمجد: لا، يا دكتور، هو راجع عايز يقعد هنا ويكمل حياته هنا، بيقول إنه عايز يساعد الشباب اللي جايين يتعافوا من الإدمان.

وائل: مش ده اللي كان بيتعافى من أقل من سنة؟

أمجد: أيوة، يا دكتور، هيثم الرفيع ده.

وائل: وكم سنة عند هيثم ده؟

أمجد: مش فاكر بالضبط، لكن تقريبا عنده ٤٠ أو ٤٥ سنة.

وائل: طيب، انده عليه، نشوف ماله، وإيه اللي جابه.

خرج أمجد لينادي هيثم، فدخل هيثم حاملاً حقيبة كبيرة بها أغراضه، وتركها عند باب مكتب الدكتور وائل، الطبيب الذي كان يعالجه من الإدمان نفسيًا ليتأهل لحياة هادئة.

وائل: تعالى، اتفضل.

دخل هيثم مهندمًا وأنيقًا، عكس ما يكون بادياً على المحاصرين بالمخدرات. جلس أمام وائل بقوة ورزانة تعجب لها وائل.

وائل: إيه يا عم هيثم، إيه اللي جابك تاني؟

هيثم: أنا عايز أشتغل هنا مشرفًا علاجيًا، أتابع الناس وأساعدهم، ويمكن لما أشاركهم خبرتي أهون عليهم شوية.

وائل: هو أنت كنت شغال إيه قبل كده؟

هيثم: أنا محاسب.

وائل: بقولك إيه، ما تحكيلي الموضوع كله عشان أنا مش فاهم حاجة.

هيثم: موضوع إيه اللي أحكيهولك كله؟ ده موضوع كبير، يا دكتور، وأنت مش فاضي أكيد.

وائل: طيب، قولي بس إيه اللي رجعك تاني بعد ما خفيت وطلعت وسامعنا إنك اتجوزت؟

هيثم: طب بص، أنا هقولك ولو زهقت وقفني فورًا.

وائل: اتفقنا، اتفضل.

هيثم: الموضوع كله، يا دكتور، يخص آية...

الفصل السابع

١ سبتمبر ١٩٩٠

تحرك أتوبيس الرحلات الخارج من كلية التجارة بجامعة عين شمس إلى العجمي بالإسكندرية، فبدأ الشباب يغنون ويمرحون، وسرعان ما وصلوا في طريق ربما يطول على البعض، إلا أن روحهم المشرقة سبقت الزمن في الوصول، ولم يشعروا بالأربع ساعات منذ تحركهم إلا بنزولهم للتسكين.

واتفق الشباب على أن يتقوا بعد ساعتين على الشاطئ، لكنهم انهكوا في الطريق والغناء فناموا جميعهم. ونزلوا في الليل لحفلة الشوي، مستمتعين جدًا بما يفعلون. جلس هيثم وماجد وسمير، صديقه المعروف بالنكات التي غالبًا لا تضحك إلا نفسه.

سمير: استنوا، أقولكم نكتة.

هيثم: اجري، يا ماجد.

سمير: لا، بجد هقولكم نكتة حلوة.

ماجد: استني، يا هيثم، نسمع، مش يمكن يضحكنا مرة قبل ما نموت.

سمير: مرة واحد نام بالعكس، صحي إمبارح.

صمت الجميع، إلا واحدة ضحكت جدًا. نظر الكل إليها متعجبين من ردة فعلها، وإذا بهيثم يرى فتاة بيضاء ذات جسم سمين بعض الشيء لكنه متناسق، بجمال يحمل ملامح فلاحية. فحرجت آية وكفّت عن الضحك.

فأشار سمير بإصبعه تجاهها وقال: "أهه، الحمد لله، يا رب، حد ضحك أهه. قلتلكم هقولكم نكتة حلوة."

التفتوا إليه صامتين من إصراره على إضحاكهم. وحين وجهوا نظرهم مرة أخرى نحو آية، وجدوا أنها تبتعد لتداري إحراجها، وتبعها أسماء صديقتها.

ماجد: هي الوحيدة اللي ضحكت على نكتتك، هربت بعد ما حست أنها عملت حرام. اقعد بقى.

وفات الليل مسرعًا، وفي الصباح استيقظ هيثم ونزل إلى البحر ليتأمل الشروق، وإذا به يسمع صوتًا ملائكيًا لفتاة تغني. وإذا بها آية، جالسة تحت مظلة وتغني. فاقترب منها وجلس خلفها في مظلة أخرى تسمح له بالاستماع إليها بوضوح.

وبعد دقائق من الغناء، لا يدري ماذا جعل آية تنظر خلفها، فرأته وتوقفت فورًا عن الغناء وبدأت تلملم أغراضها لتعود إلى غرفتها. فقال لها هيثم: "لو وجودي ضايقك، ممكن أطلع أنا."

لم ترد آية وقامت بكبرياء وذهبت من أمامه، وغابت عنه كما غابت وقت الشروق.

ومر اليوم وهو يراقب أين تقف ومتى تتكلم ومع من، إلى أن جاء فجر اليوم التالي، وقام كمن يواعد الشمس ونزل جلس تحت مظلته. وبعد نصف ساعة تقريبًا، نزلت آية، فلمحها هيثم جالسة، فمشت بصمت وجلس أمامها كما كانت في الأمس، وبدأت فور جلوسها تغني كما كانت.

فأغمض هيثم عينيه ليستمتع بصوتها العذب، وغنت وقررت أن تذهب بعدما أشرقت الشمس إلى غرفتها. تبعها هيثم وفي الليل نزل ليجلس تحت المظلة، وإذا بصوتها يقول: "مساء الخير."

هيثم: "مساء النور، اتفضلي."

جلست آية على طرف المقعد وقالت: "مش عايزة أطول عليك، أنا بس جاية أعتذرلك عن طلوعي فجأة إمبارح. مكنتش قاصدة أضايقك أو أمشي، بس أنا اتخضيت لما كنت فاكرة أني لوحدي ولقيتك ورايا. كان ممكن تقولي على فكرة إنك موجود."

هيثم: "لقيتك بتغني وصوتك حلو، بسم الله ما شاء الله، قلت أسمعك من غير ما أزعجك."

آية: "لا، مفيش إزعاج خالص. أنا بحب الغناء جدًا عمومًا. أنا حبيت أقولك إنك ما عملتش حاجة غلط، أنا اللي اتخضيت."

ووقفت لتذهب. فقال هيثم وكأنه يلحق الاتفاق: "أشوفك الصبح، ما تتأخريش."

فطار نومه، خصوصًا أن اليوم التالي هو يوم عودتهم إلى القاهرة. فظل جالسًا على الشاطئ حتى نزلت مبكرًا. قام هيثم مبتسمًا وقال: "ممكن بدل ما تقعدي وتديني ضهرك وأنتي بتغني، نقعد في شمسية واحدة وتغني وأنا موجود."

آية: "لا، طبعًا، بتوتر أوي لو حد شاف ملامحي وأنا بغني."

هيثم: "اعتبري نفسك في الأوبرا. مش نفسك تبقي مغنية؟"

آية: "لا، طبعًا، مش بفكر أحتراف الغناء أبدًا."

هيثم: "ليه؟ ده أنتِ صوتك تحفة."

آية: "معلش، عندنا تحفظات كتيرة على موضوع الغناء ده، لكن ينفع أدندن كده في وسط صحابي."

هيثم: "براحتك، لكن تقدري تغني دلوقتي وبعد كده نتكلم في الاحتراف ده."

غنت آية فسحرت هيثم بعيونها اللامعة وملامح وجهها الطفولية وصوتها المشجع. ارتبط صوت آية بالشروق في روح هيثم، فبعدما عادا من الرحلة، كان كلما شعر بيأس ذهب إليها لتغني له همسًا حتى يطمئن لشروق جديد بأمل جديد. فصارت آية في حياة هيثم.

الفصل الثامن

جلست آية في ساحة الكلية، وبدت مستغرقة في أفكارها. وفجأة، ظهر هيثم أمامها، والقلق واضح على ملامحه.

آية: مالك؟ إيه اللي مضايقك؟

هيثم: ماليش... إنتي كويسة؟

آية: لا، طبعاً مش كويسة! إزاي أكون كويسة وإنت مكشر كده؟

هيثم: مش مكشر ولا حاجة، بس النتيجة هتتعلق النهارده، وبتوتر شوية.

آية: وإنت كنت بتتوتر كده كل السنين اللي فاتت؟

هيثم: ومين قالك إني قلقان على نفسي؟

وضعت آية يدها على خصرها مازحة:

آية: وحضرتك خايف على مين بقى يا هيثم بيه؟

هيثم (بتعجب): إيه ده؟ في إيه؟

آية: أصل إنت مش قلقان على نفسك... أمال خايف على مين؟

هيثم: آية، أنا في سنة كام؟

آية: إنت في البكالوريوس.

هيثم: ونتيجة البكالوريوس هتبان إمتى؟

آية: الأسبوع الجاي.

هيثم: يعني النهارده مش نتيجتي أصلاً... طب إنتي جيتي ليه؟

آية: عشان أشوف نتيجتي أنا.

هيثم: وأنا قلقان على نتيجتك إنتي.

ابتسمت آية بعد أن شعرت أن هيثم يعاملها كالأطفال:

آية: على فكرة، أنا فاهمة كل حاجة، بس بختبرك.

هيثم (ضاحكاً): أي كلام! بقولك إيه، غني، ماتتكلميش خالص.

آية: طيب، أغنيلك إيه؟

هيثم: أول أغنية سمعتها منك كانت إيه؟

آية: بتاعت وردة، صح؟

هيثم: آه، تقريباً.

آية: حنين... بحبها أوي.

بدأت آية في الغناء:

"لو حد ينسى روحه، أنا كنت نسيت هواك. لو قلب بينسى حبه، انسى الحياة معاك..."

جلس هيثم صامتًا مستمتعاً بصوتها، ثم قال:

هيثم: قوليلي يا آية، مين حبك الأولاني ده؟

آية (بابتسامة خفيفة): إنت طبعاً.

هيثم: لحظة كده... ده بجد؟

آية: يعني إنت مش عارف؟! إحنا بقالنا سنة بغنيلك كل يوم تقريباً... هغنيلك ده كله ليه؟!

هيثم: أنا كنت بخاف أقولك، عشان كنت شايف إني ناسي نفسي وباصص على مستوى أعلى مني.

آية: بقولك إيه، مفيش أعلى ولا حاجة. افهم بس إن بكرة وبعده إنت هتكبر، وأنا هكبر، وكل واحد يبني في نفسه وفي التاني، يبقى ده النجاح. طول ما البيت بيتبني من الطرفين، الطرفين اللي بيبنوا نفسهم ويبنوا بعض، يبقى ده بيت ناجح.

هيثم: طيب غني، غني.

آية: استنى، أغني إيه؟ إنت ما قولتليش "بحبك"!

هيثم: طبعاً بحبك.

بعد فترة وجيزة، ظهرت نتيجة آية، فقام هيثم مسرعاً ليرى نتيجتها، وكان أول من يطمئن أنها نجحت بتقدير جيد جدًا مرتفع.

عاد وأخبرها، فاستراح لنجاحها، لأنه كان يخشى أن يكون عائقاً بينها وبين النجاح. نجحت في الدراسة ونجحت في حبه.

مرَّ الوقت، وصارع هيثم الدنيا والظروف حتى أنهى دراسته، وتم تعيينه في شركة حديثة براتب لم يتجاوز 150 جنيهاً. استأجر شقة صغيرة لا تتجاوز مساحتها 50 متراً، وأتى اليوم المنتظر بعد عامين، يوم زفاف هيثم وآية. دخلوا بيتهما بعد فرح طويل، وقدّم سمير فقرة من النكات السخيفة التي استفزت المدعوين إلى أن أوقفه ماجد. وأخيراً، صار هيثم وآية وحدهما.

هيثم: دلوقتي بس قادر أتنفس يا آية.

آية: هو إنت مصدق إننا اتجوزنا؟

هيثم: مش عارف، حاسس إحساس غريب. تعبت أوي عشان أوصلك، توضيب الشقة، زنقة المصاريف، الصنايعية، والصراعات في الدنيا والشغل. بس في نفس الوقت، حاسس إني كان عندي طاقة تانية كبيرة، كنت أقدر أقدم لك بيها نفسي بصورة أكرم من كده.

آية: إنت على أحلى صورة يا حبيبي.

هيثم: آية، إنتي عارفة إني بحبك أوي؟

آية: أكيد عارفة، وأنا كمان بحبك أوي.

تغير وجه هيثم فجأة وقال بأسى:

هيثم: آية، اوعديني إنك عمرك ما هتبعدي عني، أو في يوم تملي من احتمالي. خليكي سند وظهر.

آية: ليه بتقول كده؟

هيثم: شفت ناس كتير اتجوزوا، وبعدين انفصلوا وحبوا ناس تانية. أوعي تحبي غيري، لأني مش هعرف أبدًا أحب ست غيرك.

أغلقت آية نصف عينها كما لو كانت تتذكر شيئًا، ثم بدأت تغني بصوت عذب وهمس، وهي تقترب من أذنه:

"بيسالوني لو غبت عني، أو رحت مني... أعمل إيه؟ أحب تاني؟ مش ممكن أقدر...هو اللي زيك لو كان في زيك في الدنيا حد يحب عليه "

اطمأن هيثم بعدما بدا وكأنه لم يطمئن في حياته قط، دائم القلق دون أن يعلم سبباً لهذا القلق. هدأ جداً بعد الزواج، وتوجت قصة حبه بارتباطهما. صار هيثم يعتمد على آية كما يعتمد الطفل على أمه، فلا يطمئن إلا بوجودها. لم يكن يستطيع النوم إلا إذا وضع يده في يدها؛ كانت يداها تحملان سحراً خاصاً، مزيجاً من الدفء والرقة التي تنقل الحب والراحة في آن واحد.

مرت السنوات وهيثم يستند على زوجته الحبيبة، لكنه ظل كثير الخوف والشكوى، مما جعلها تحمل همه باستمرار. اتفقا على تأجيل الإنجاب حتى تستقر أوضاعهم المادية، لأن هيثم كان يخشى أن يكون إنجاب طفل في هذا الوقت دعوة لمزيد من الشقاء. أما آية، التي لم تكن تعمل، فقد بدأت تعاني من السمنة، مما صعّب حدوث الحمل كما أوضح الطبيب، وهذا الأمر أدخلها في حالة اكتئاب.

كانت آية تشكو دائمًا لماجد وسمير، أقرب أصدقاء هيثم، عن العبء الذي كانت تحمله في زواجها. ومع مرور الوقت، تحول اعتماد هيثم على آية إلى عبء كبير عليها، وأصبح هو الهم بدلاً من الشريك. بعد خمس سنوات من الزواج الذي كان مريحاً لهيثم لكنه مرهقًا لآية، انهارت وطلبت الخلاص من هذا الاستنزاف.

اجتمع ماجد وسمير ليكونا شاهدين على عقد الطلاق، وغادرت آية بإصرار غريب على الانفصال. وبعد الطلاق، اختفى سمير الذي كان دائمًا بثقل ظلّه، وجاء ماجد لهيثم، ليذهبا إلى الكافيتريا ويتحدثا عما يفكر فيه.

ماجد: فك كده وقولي، ناوي على إيه؟

هيثم: ناوي على إيه في إيه، يا ماجد؟ يا بني، أنا بقاوم فكرة الانتحار بصعوبة جدًا.

ماجد: لا، استهدى بالله كده. انتحار إيه يا عم؟

هيثم: إنت عارف المشكلة في إيه؟ المشكلة يا ماجد إني كنت عايش بيها، مش بس عشانها. يعني أنا بصحى الصبح عشان هي بتصحيني، بنزل الشغل وبرجع عشان هي في البيت. كنت برمي الهم اللي على كتفي عندها وارتاح بيها.

ماجد: ما يمكن دي المشكلة، إنها حست إنها مش قادرة تكمل في الضغط ده.

هيثم: طب خلاص، اتجوزنا خمس سنين واتطلقنا. أنا بقى أرجع البيت عشان مين؟ ولو هي رفضت نرجع، أنا ألاقي مين بعدها؟ كنت بشوف الدنيا بيها. آه، طلقتها ومش على ذمتي، لكن أقدر أقولك إن آية دي... دي نور عيني يا بني. عين إيه تتملي بواحدة تانية؟ هو في الدنيا كلها واحدة تساوي نص ساعة في الخمس سنين اللي فاتوا؟

تعرف يا ماجد، لو رجع الزمن، كنت هعيش الخمس سنين وأكتب كل حاجة حصلت، كنت هصور كل يوم عدى علينا.

دمعت عين ماجد، المتأثر بندم صديقه.

ماجد: ماتعرفش بكرة شايل إيه يا صاحبي. مش يمكن القدر يديكوا فرصة تانية؟

نظر هيثم نظرة حسرة مؤلمة ولم يتكلم.

ماجد: طب يابني، طلقتها ليه وإنت بتحبها أوي كده؟

هيثم: عشان بحبها يا ماجد. الراجل المحترم اللي يحب بيسيب حبيبته تختاره كل يوم، مايفرضش نفسه عليها حتى لو كانت مراته.

تغير وجه ماجد، واعتقد هيثم أن ماجد تأثر بحزنه على انفصاله، خاصة أن هيثم هو الوحيد المتزوج من بين الثلاثة أصدقاء: هيثم، ماجد، وسمير.

ماجد: طب تفتكر آية كده مرتاحة؟

هيثم: شكلها بيقول كده. أنا اهتميت بنفسي في روحها، لكن ماريحتهاش.

خسارة...

لا، خسارة إيه؟ دي ألف خسارة.

يلا، الحمد لله، ربنا يسعدها ويعوضها. وإن كان لينا في يوم نصيب نرجع، هعوضها عن القديم والجديد.

قام ماجد وهيثم، وكلٌّ إلى بيته. ولكن في هذا اليوم، عاد هيثم إلى بيته وهو لا يعلم من سيكون شريكًا له بعد آية.

الفصل التاسع

بعد ستة أشهر من طلاق هيثم وآية، لم يكن هيثم يعلم عنها إلا ما تسمعه من شروق، صديقتها المقربة. في أحد الأيام، اتصل هيثم بماجد في منزله، ليرد عليه والده الأستاذ حسن.

هيثم: ألو، مساء الخير يا عمي، هو ماجد موجود؟

حسن: أيوة موجود، لحظة واحدة.

نادى حسن: "ماجد! كلم تليفون". سمع هيثم صوت ماجد من بعيد وهو يقول:

ماجد: يووه! سمير طبعاً بيستعجلني ويأكد عليا أجيب البطاقة... أنا زهقت. أيوة يا سمير، جاي جاي، بطل زن!

هيثم: إيه ده؟ في إيه؟ أنا هيثم.

تلعثم ماجد وقال:

ماجد: آه، يا هيثم، إزايك؟ أصل سمير عايزني أقابله عشان... عشان هيشتري حاجة بالتقسيط وعايزني أضمنه.

هيثم: يعني انت مش فاضي النهارده؟ أنا مخنوق وقلت أكلمك ننزل.

ماجد: معلش، يا هيثم، احتمال أتأخر.

هيثم: تمام، خد راحتك... سلام.

جلس هيثم ينظر إلى ثوب آية الذي أخفاه عنها ليحتفظ بشيء منها، ولو بخدعة. وتذكر اليوم الذي اشترى فيه هذا الثوب، ملامحها وضحكتها، ففقزت دمعة من عينيه بسرعة كما لو كانت على موعد مع خديه. تذكر خجلها يوم عقد قرانهما، وهي تنظر بخجل وحياء، بعينيها المدهشتين.

تزامن تذكره لعقد قرانه بها مع ما يردده المأذون لعقد قرانها بسمير، صديقه المرح المشرق، الذي لا يحمل همًا في الدنيا. آية، التي ذهبت إلى سمير لتنسى شكوى هيثم المستمرة على مدار خمس سنوات. فعلت ما كان غريبًا على الجميع، إذ اختارت من بين كل رجال الدنيا صديقه. ربما لأنها كانت ترى فيه شيئًا من هيثم، أو لأنها صارت عدوة لكل ما كان يمثله هيثم، فاختارت عكسه تمامًا. هيثم الكئيب لم يكن مريحًا، بينما سمير، الذي كان مزعجًا بكثرة المرح والضحك، قد يكون المريح.

تعجب ماجد من موقف آية وسمير، لكنه رأى أن المنطق يقول: آية مطلقة، ترفض العودة إلى هيثم، ولا تزال شابة، وسمير لم يسبق له الزواج، فلا مانع أن يتزوجا. شهد على عقد قرانهما وصار شاهدًا على عقدين، لآية ولأصدقائه المقربين.

تفاجأ الحضور حين وقف سمير بعد إنهاء توقيعات عقد القران وقال:

سمير: عايز أقولكم حاجة، واسمعي ده كويس يا آية. يا جماعة، أنا بحب آية من ساعة الرحلة اللي طلعناها من سبع سنين، تحديدًا في سبتمبر سنة تسعين. ساعة ما قلت نكتة وضحكت، حسيت إن ضحكتها أحلى ضحكة ممكن الواحد يكمل معاها حياته. وبعدين راحت اتجوزت حد قبلي، وحبتها بيني وبين نفسي. لكن لما انفصلوا، بقى من حقي أتجوزها وأكمل حبي ليها على سنة الله. ودلوقتي، يا آية، أقدر أقولك نكت كتير ونضحك على طول.

صرخ الحضور بدون اتفاق: لا!

وقال ماجد مازحًا:

ماجد: الله يطول عمرك يا سمير، مش هتتجوز إنت وتموتنا إحنا!

ثم اقترب ماجد من آية وقال بصوت مسموع:

ماجد: ألف مبروك يا آية، ربنا يسعدكم.

آية: شكرًا يا ماجد، عقبالك.

سرح ماجد للحظة، وتساءل في داخله: هل من الممكن أن تنفصل عن سمير ويتزوجها هو؟ تذكر فيلم "الثلاثة يحبونها"، ثم خفض صوته وقال:

ماجد: آية، لو هيثم سألني، أقوله؟

وبرد فعل غير متوقع، رفعت آية صوتها منادية سمير، فجاء مسرعًا.

آية: ماجد بيسألني يقوله إيه لهيثم؟

قال سمير بقوة:

سمير: قوله سمير اتجوزها... قدِّر النعمة اللي كانت في إيدك وانت رفصتها. وعموماً، إحنا مش مطولين، أنا وآية مسافرين الإمارات عشان هستلم شغل في شركة هناك. ماتقلقش يا ماجد، الوشوش هتتلاقى، بس بعد سنين لما اللي كان يتنسى.

ذهب ماجد بعدما بارك لهما، متحيرًا وخائفًا من مواجهة هيثم، لكنه كان متأكدًا أن هيثم سيعرف في النهاية.

في صباح اليوم التالي، نزل هيثم لعمله واشترى جريدة "الأهرام"، كما كان يفعل كل يوم. جلس يقرأ، وفجأة رأى صورة طليقته وصديقه، وكتب أسفل الصورة: "تهنئة بالزواج السعيد". صُعق هيثم واستوعب أن ماجد لم يكن يضمن سمير لشراء شيء، بل كان يضمنه عند نصفه الآخر. تحول شعوره تجاه أصدقائه إلى غضب شديد، واتصل بماجد عدة مرات حتى الليل.

أخيرًا، رد ماجد على اتصال متأخر، ليستمع إلى انفجار غضب هيثم. وبعدما أخذ هيثم وقته في السب، قال ماجد بهدوء:

ماجد: أنا دلوقتي مطلوب مني إيه؟ كنت منتظر إيه؟ واحدة إنت طلقتها من ستة شهور، ووافقت عليه هو. طلبوا مني أشهد، أجي أقولك ليه؟ إنت إيه يخصك أصلاً؟ يا بني، كانت مراتك كانت. يعني النهارده، شرعًا وقانونًا، تجوزته. وهو الراجل اتجوزها ومسافر بعد بكرة، يعني مش قاعد. أجي أقولك بتاع إيه؟ إنت بني آدم مستفز، وعندها حق تطلب الطلاق منك. تصدق؟ أنا احترمت آية دلوقتي. أي حد يقرر يبعد عنك يبقى عاقل. ماتتصلش بيا تاني.

أغلق ماجد المكالمة وكأن هيثم هو المذنب، بينما شعر هيثم أن العالم انقلب عليه. انتهت علاقته بسمير وآية، وربما لا تعود علاقته بماجد كما كانت من قبل.

جلس هيثم في حيرة، يردد داخله تساؤلاً مريرًا: "أروح لمين يعمل اللي كانت بتعمله آية؟" ثم جلس يستمع لأغنية تقول:

"وأبات أنعي... أنا ودمعي... وأخبي دمع العين وأداري... من اللايمين... لا يلمحوا عنيه ويشمتوا فيه... ولحد إمتى؟ حتبقى إنت والشمتانين... أروح لمين؟"

لجأ هيثم إلى إدمان الكحول، وصار شرهًا في شرب الويسكي وما شابه. بعد حوالي سنة، تواصل مع ماجد والتقيا، ليحافظا على ما تبقى من صداقتهما. كلما اشتاق هيثم لآية، اتصل بماجد وتحدث عنها كثيرًا. لم يمر يوم دون أن يذكرها، وكأنها لا تزال تعيش في داخله.

مرت ست سنوات حتى عام 2002، واستقر وضع هيثم المادي. أصبح مدير حسابات في شركة للاستيراد والتصدير، وانتقل للسكن في منزل أكبر، ليس لأنه أصبح غنيًا، بل ليهرب من ذكريات شقته الصغيرة التي عاش فيها مع آية. ومع ذلك، كان يعود أحيانًا للشقة القديمة، ليتذكر كل زاوية عاشا فيها معًا. كان يحتضنها في خياله، ويشعر بيدها، لكنه اكتشف بعد عدة مرات أنه يمسك يده اليسرى بيمناه، وكأنه يحاول إيهام نفسه أنها يدها. ربما كان شوقه هو من يصور له ذلك، أو ربما هي سكرته.

اتصل ماجد بهيثم في أحد الأيام.

هيثم: ألو، يا ماجد، إزايك؟

ماجد: الحمد لله يا صاحبي، إنت عامل إيه؟

هيثم: تمام، الحمد لله.

ماجد: عندي ليك خبر، مش عارف هيفرحك ولا يزعلك.

هيثم: إيه؟ قول.

ماجد: سمير وآية اتطلقوا، وآية رجعت مصر.

هيثم: إيه!!! يعني آية موجودة هنا دلوقتي؟

ماجد: أيوة، وسألتني عليك.

هيثم: سألتك؟ قالتلك إيه؟

ماجد: سألتني عن أخبارك، واتجوزت تاني ولا لا.

هيثم: اديني رقمها.

ماجد: خليك معايا لحظة.

أمسك هيثم بورقة وقلم ودون الرقم كما سمعه، ثم أغلق الهاتف مسرعاً، متوتراً. لم يستطع أن يجمع شجاعته للاتصال بها، فاكتفى بإرسال رسالة نصية:

ماجد قالي إنك سألتي عني، اتجوزت ولا لأ؟ هو اللي زيك، لو كان في زيك في الدنيا، حد ممكن يحب عليه؟

بعد إرسال الرسالة، أدرك هيثم أنه بحاجة لتغيير جذري في حياته. اتفق مع مصحة لعلاج الإدمان ليقلع عن شرب الكحول، حيث كان يرى في إدمانه وسيلة للهروب من واقعه، من الفراق عن آية، إلى اللاوعي الذي يسمح له برؤيتها في أحلامه. خلال إقامته في المصحة، كان دائمًا يجيب عن سؤال

من حوله بأنه يريد الهروب من العالم الذي انفصل فيه عن آية إلى عالم يستطيع فيه رؤية حبيبته مرة أخرى.

بعد ثلاثة أشهر من العلاج المكثف، خرج هيثم من المصحة متعافياً. لم ينعزل عن العالم بل استمر في حياته، يذهب إلى عمله في الصباح ويعود إلى المصحة في المساء لمتابعة علاجه. وكّل ماجد بمتابعة أخبار آية، وتمنى أن تعود إليه كزوجة، كأول حب له، وأول حب لها.

بعد مرور شهور عدة، أصبحت آية متاحة للزواج مرة أخرى. قرر هيثم أن يعيد ترتيب منزله الكبير ليكون جاهزاً لاستقبال عروسته مرة ثانية، ولكن هذه المرة، كان حريصاً على ألا يلتقي بها إلا يوم زفافهما من جديد.

وعندما جاء اليوم المنتظر، ظهرت آية في أبهى صورة، كأنها ملكة جمال الكون. رشيقة، ذات خصر منحوت، وجمال فاق الوصف. اندهش هيثم من روعتها وجمالها الذي كاد الجمال نفسه أن يستحي من وصفه. عاد إليها هيثم، وأعادها زوجة له.

بعدما غادر الجميع في ليلة زفافهما، أمسك هيثم بيدها، وبكى بشدة حتى غلبه النوم. لم يتذكر أنه حاورها، فقط أغمض عينيه وهو يمسك يدها، وبكى كثيراً جداً. كانت دموعه دموع شوق وندم وفرح بعودتها في آن واحد.

أخيرًا، عادت الحياة لهيثم، وقد وجد في آية الحب الذي لم ينطفئ، والحياة التي افتقدها منذ سنوات.

الفصل العاشر

هيثم: بس يا دكتور دي الحكاية.

وائل: أيوة، اتجوزتوا من ٣ شهور تقريباً. إيه اللي حصل عشان تطلقها وترجع هنا؟

هيثم: مش عارف هتفهمني ولا لأ.

وائل: ياعم هيثم قول، مش يمكن أطلع بفهم وأفهمك.

هيثم: العفو يا دكتور، بس هو الموضوع ملخبط شوية.

وائل: قول ونتفكر فيه مع بعض.

هيثم: بعد كام يوم من جوازنا الثاني، حسيت إني بخونها معاها.

وائل: إزاي؟

هيثم: اتغيرت جداً، بقت واحدة تانية. آه نفس الشكل، بس أرفع وأجمل، نفس الاسم بس أنضج وأعقل. التغيير حسسني إنها مش هي. عارف، في أول جوازنا كانت بتقعد تربع جنبي على طبلية. لو شوفتها دلوقتي، هتقول

إنها معفنة، لكن ساعتها كانت أحلى من أكبر ترابيزة في أكبر مطعم. دلوقتي لاقيتها بتاكل بالشوكة والسكينة، مفرداتها اتغيرت، تعبيراتها.

وهيثم ضحك ساخراً: بقت تقول نكت تلطش زي الغتت اللي كانت متجوزاه، وبقت تضحك على حاجات بايخة. فقلت إنّها مبقتش هي، خليها في صورتها الأولانية اللي كانت مصبراني على العيشة، بلاش أبوز صورة عشت بيه عمري. فكتبتلها الشقة وأديتها المؤخر حقها. وكنت عارف إنكم محتاجين محاسب، فقولت أخلص شغلي الصبح في الشركة وأجي بالليل هنا أخلص لكم الحسابات، يمكن ربنا يكرمني وأعرف أنصح واحد من الشباب اللي بييجوا يتعالجوا، أهه أبقى سيبت حاجة في الدنيا الناس تدعيلي عشانها.

وائل: أنت متأكد إن ده حل؟

هيثم: أصل يا دكتور، فكر فيها كده. لما نشتاق لواحد حي عايش قدامك بس اتغير، تروح لمين أو تجيبه منين؟ كأنك وحشك حضن طفل كان طفل من عشرين سنة وبقى راجل كبير. آه، هتبقى فرحان بيه، بس وحشك تشوفه طفل. لما تشتاق لواحد كان وبقى، هتحتار، وهو قدامك تلاقيه فين وتجيبه منين وتروح لمين؟

فكتب وائل في مذكراته:

حين تشتاق لحي تغير إلى من تذهب؟

الفصل الحادي عشر

أمسك وائل مذكراته وكتب:

اشتقت إليك جداً، واشتياقي لك يشبه اشتياق شخص لوجه جلاده. حبك معذب لكنه يمتعني، فلست أعلم إن كنت أحيا بك أم مت منك كقاتلة. أتدري، حبيبتي، حين تأتي ذكرى لك في رأسي، احتقر نفسي واليوم والموقف وأشتاق إليك، فأنت التي كانت الداء.

ثم طرق باب مكتبه ودخل أمجد ليقول:

أمجد: يا دكتور، بعد إذنك، في واحد اسمه سيد برة عايز يقابلك، وحضرتك كنت مديله ميعاد.

وائل: آه طبعاً، خليه يتفضل.

دخل سيد، يرتدي ملابس مهلهلة، كما يبدو على شخصيته أيضاً. من النظرة الأولى له، تشعر بالحقارة ولا تعلم السبب. رحب به وائل كطبيب، وقام من مكتبه وجلس مقابله، وقال:

وائل: تفضل يا عم سيد.

سيد: يزيد فضلك يا بيه.

وائل: قولي بقى إيه اللي خلاك تقرر تبطل تعاطي؟

سيد: يوم يا بيه حسيت ربنا راضي عني.

وائل: وده يوم إيه؟

سيد: من بتاع ٣ أسابيع.

وائل: احكيلي، حسيت كده إزاي؟

سيد: كنت ماشي يا بيه، مش معايا تمن السيجارة العادية حتى، ودعيت ربنا إنه يرزقني عشان خلاص تعبت.

وائل: يرزقك تبطل تعاطي؟

سيد: لا يا بيه، يرزقني أجيب الجرعة، لا مؤاخذة.

وائل: آه، كمل يا سيد.

سيد: وأنا ماشي لاقيت راجل واقف يعبي رملة في الشارع ويطلعها لوحده. روحتله، قولتله تحب أطلع معاك وتديني ١٠٠ جنيه؟ الراجل وافق يا بيه، بقى هو يعبيلي شوال الرمل وأنا أطلعه للدور الثالث. مرة، اثنين، تلاتة، تعبت قولت لربنا: أنا مش قادر أكمل، بس محتاج الفلوس، ارزقني أنت. لسة ماخلصتش الكلمة يا بيه، ولاقيت ست تطلع سنها أربعين سنة نازلة من الدور الثاني وبتقول لبنتها: أنا لازم أروح لستك، وسايبلك المفتاح تحت الدواسة، والفلوس هتلاقيها في درج مكتب أبوكي. رفعت الدواسة، لاقيت المفتاح، وحسيت ربنا بيقولي: خد يا سيد، أهه، المفتاح. خش وشوف إنت عايز كام. فتحت الباب، والست كانت ناسية شباك مكتب الراجل مفتوح، وتقريباً كده لما حطت الفلوس في سالمكتب نسيت تقفله، ولاقيتك يا بيه هوا دخل قلب الأوضة وأنا على الباب، بقت الفلوس تطير من المكتب تيجي مطرح ما أنا واقف، كأن ربنا بيقولي: خدهم وامشي يا سيد.

سيد: خدتهم وقلت لازم أعمل حاجة زي ما وقف جنبي يوم ما كنت عايز فلوس ضروري.

نظر وائل باستياء وقال له:

وائل: يعني ربنا سرق الناس معاك؟

سيد: لا يا بيه، هو سهل طريقي بس.

وائل: أيوة يعني مين ساعدك تسرق؟

سيد: هو سبحانه عالم بحال عبده.

وائل: هو أنت مصدق اللي أنت بتقوله؟

سيد: يعني من كل الشوارع أدخل الشارع ده، والراجل يوافق يشغلني، وفي الوقت اللي فيه على السلم، أسمع الست وألاقي المفتاح وأدخل، والهوا يطير الفلوس. كل ده مين اللي عمله أنا؟ أكيد لا يا بيه، ده اللي أكبر مني ومنك.

وائل: يعني ربنا سهل طريقك في السرقة؟

سيد: يرزق الدودة بين حجزين يا بيه.

شعر وائل بغضب شديد من كيفية تكلم سيد وكأنه يبرر أفعاله بالاعتقاد أن الله هو من ساعده. فقال بضيق:

وائل: اتفضل يا سيد، دلوقتي.

ثم جلس وائل يفكر فيما قال سيد كخرافة، وهو معتنقها ومقتنع بها، ثم اندهش من سؤال باغته فكتب:

أعمق إيمان في قلوبنا ربما خرافة في عقل البعض. فمن ذا الذي يكون مرجعاً وفاصلاً في إيماننا؟

الفصل الثاني عشر

في أبريل ٢٠٠٤، وصل وائل إلى المطار ليستقبل كريم، أخوه الذي سافر لدراسة الإخراج بعدما تخرج من كلية الهندسة ووقع في عشق التمثيل. ترك كريم مخطوبته التي رفضت رفضاً باتاً ذهابه، وساومته بأن يتركها إذا ذهب لحلمه.

استقبل وائل كريم بحفاوة ولهفة الأخ الغائب عن أخيه الغالي. بعد احتضان وبعض الدموع، جلس كريم ووائل في سيارة وائل. فقال كريم:

كريم: مكنش عندي شك إنك جدع، ومش هتعرف بابا وماما إنّي راجع عشان نفاجئهم.

وائل: ما قولتش لحد، يا عم.

فضح كريم شوقه بسؤاله الثاني:

كريم: تعرف حاجة عن همسة؟

وائل: للأسف يا كريم، لا. بس قولي، عايز تعرف إيه؟

كريم: تفتكر همسة ارتبطت؟

وائل: مفيش حاجة اسمها ارتباط طالما الدبلة مش في إيديها. وعلى حد علمي، يعني هي ما تخطبتش بعدك.

و نظر وائل لكريم نظرة عميقة ليعرف إن كان رده حقيقة أم كذب على أخيه.

وائل: أنت لسة بتحبها؟

نظر كريم نحو السماء من زجاج السيارة الأمامي، وضع يمناه فوق خده وصمت عشر ثوانٍ، ثم قال برد حاسم جداً:

كريم: وعايز أرجع لها لأني حاسس إنّي مديون لها بكل يوم احتاجتني وما لقيتنيش.

وائل: خلاص، ارجع لها.

كريم: تفتكر هتوافق ترجع؟

وائل: صدقني يا صديقي، لو وافقت، يبقى كويس إنكوا تستأنفوا حبكم اللي أنا متأكد إنه حقيقي. ولو ما وافقتش، يبقى كويس جداً لأنها هتثبت ساعتها إنها بنت محترمة عندها القدرة على رفض المواقف والأشخاص اللي مش عايزة تكون معاهم، وفي الحالتين، أنت الكسبان.

كريم: ينفع نروح لها إمتى؟

وائل: تعالى سلم على أبوك وأمك، وبكرة نروح بيتها ونعرف من أبوها وأمها الأول هما موافقين على رجوعكم ولا لأ، لأن موقفهم أهم من موقفها في الحالة دي.

كريم: تقصد إيه بالحالة دي؟

بحث وائل بعينيه عن مكان يتوقف فيه بالسيارة لدقائق، فضغط على زر لتعمل إشارة الانتظار، وانحرف تجاه اليسار وأوقف السيارة. نظر نحو أخيه وقال بحسم:

وائل: بص يا كريم، أنت طبعاً اتغيرت في الكم سنة اللي سافرتهم، وهي أكيد اتغيرت، ويمكن حطت شروط تانية خالص للشخص اللي تحب تكون مراته. وده حتمي، تقدر تقولي إنك النهاردة بتفكر زي من سنة واحدة؟

كريم: أكيد لا.

وائل: يمكن هي بقى في السنة دي تكون اتغيرت لدرجة إنها تكون مش عايزة تتجوز مثلاً، لأننا ما نعرفش الظروف اللي عاشتها، والتغيير وصلها لآيه. فنصيحتي، بكرة كلم أبوها في وقت تكون هي مش موجودة في البيت. أنا عارف إنها بتشتغل في شركة ديكورات.

كريم: وعرفت منين؟

وائل: قابلتها مرة وأنا راجع من الشغل، سألتها إذا كانت محتاجة حاجة. قالتلي إنها شغالة في شارع جنب اللي اتقابلنا فيه.

كريم: وده كان فين؟

وائل: في مصر الجديدة، تقريبا في تريومف. المهم، كلم أبوها بكرة بدري وروح لهم البيت، اتكلم معاهم وحاول تقنعهم إنك ترجع لهمسة. ولما تقابل همسة بعد ما أهلها يوافقوا، لو عايزهم يوافقوا يعني، تقولها جملتين: "وحشتيني، وكنت عندكم في البيت، وبابا وماما موافقين نرجع." هتجيب معاها قوي.

كريم: تفتكر الموضوع ده هينفع؟

قال وائل مداعباً:

وائل: عيب عليك، يا عم كريم، ما تصغرناش.

ثم أدار وائل محرك السيارة وذهبا إلى بيت والديهم. اجتمعت الأسرة كاملة لأول مرة منذ سفر كريم، وفي اليوم التالي ذهب كريم إلى والد همسة واتفق معه على أنه لا مانع من عودتهما إذا كانت همسة موافقة. وعرف من والدها أنها الآن في الشركة، فكتب عنوان الشركة مفصلاً وذهب إليها. لكن حين أقبل على الوصول، ارتبك جداً واتصل بوائل وقال:

كريم: وائل، أنا متوتر أوي.

وائل: ليه يا عم، أبوها قالك إيه؟

كريم: وافق.

وائل: طب، إيه مشكلتك؟

كريم: عارف، لو هو اللي كان رفض كنت هقول تمام، بيتها رفض. لكن دلوقتي بيتها وافق، لو هي اللي رفضت هتعب أوي.

وائل: أنا قولتلك قول جملتين اتنين: "وحشتيني وبيتكم موافق." وهتشوف.

كريم: طب، افترض رفضت.

وائل: ساعتها هيجيلك اكتئاب، ونعالجك، عشان أنا مش دكتور أسنان. اعمل اللي بقولك عليه وما تفكرش.

وبعد ساعة تقريباً، أرسل كريم رسالة إلى وائل مكتوب بها:

كريم: تم يا عبقري.

فأمسك وائل مذكراته وكتب:

حالل مشاكل من حوله، من يحل مشاكله.

الفصل الثالث عشر

عاد كريم لا يدرك حدود سعادته، وقال لوائل كل ما حدث مع بيت همسة وهمسة:

كريم: بس يا سيدي، قعدت تعيط ولمت علينا الشركة، والناس كلها عيطوا. بقيت قاعد مش عارف أقول إيه ولا أعمل إيه. قلت أقلدك وأقول كلام مش مفهوم زي اللي بتقوله، يمكن تتلبخ توافق، وقد كان.

نظر وائل بدهشة.

وائل: أنا كلامي مش مفهوم؟

كريم: أحياناً بتقول كلام صعب، يا عم.

وائل: أيوة، عشان كلام عميق مش مفهوم لعامة الشعب أمثالك.

كريم: بس تعرف، لو همسة مكانتش وافقت بسرعة، كنت شكيت إنه في بينها وبين صاحب الشركة حاجة.

وائل: هي قالتلك إن في حاجة؟

كريم: كان متأثر بزيادة.

وائل: يا بني، مش قلتلك إنهم كلهم اتأثروا؟ إش معنى هو؟

كريم: هو كان متأثر تأثر اللي بيروح منه حاجة، مش إنه فرحان أو زعلان لرجوعنا.

وائل: خلاص، سيبك منه.

كريم: بس أنت بقيت شاطر أوي يا وائل، مكنش يبان عليك الذكاء ده.

كرر وائل نظرته مندهشاً وقال:

وائل: أنا مكنش باين عليا الذكاء؟

رن موبايل كريم، فرد مسرعاً:

كريم: ألو، إيه يا حبيبتي؟ عملتِ إيه؟

همسة: أه... طيب، هي دلوقتي أحسن؟

كريم: فاقت يعني؟ تمام... لا، طبعاً، هاجي أطمئن عليها أنا ووائل.

همسة: لا، من غير ما أخد رأيه، هو موافق.

انتفض وائل من اتكائه ورمى كريم بوسادة صغيرة كان يتكئ عليها. تفادى كريم الوسادة وأكمل كلامه لهمسة.

كريم: تمام، تمام يا حبيبتي. هو هيعمل كل اللي نقوله عليه.

همسة: لا، أنا أخوه الكبير، ولو ما نفذش كلامي، هنعرف الناس كلها إنه أخويا، وهو صغير اتخطف، وده واحد ربيناه لله.

سمعت صوت همسة كريم يصرخ، ولا تعلم ماذا حدث بينه وبين وائل.

في ثاني أيام عودته، وبعدما هدأ كريم ووائل وانتهيا من الضحك، قال كريم:

كريم: يابني، بجيبلك شغل بشغلك، أنا هبقى شغال في الفيلم اللي هخرجه، تقعد أنت في البيت عاطل كده، بجيبلك حالة.

وائل: وده شغل إيه؟

كريم: انهيار عصبي، يا دكتور.

كريم: بنت عم همسة في المستشفى بسبب انهيار عصبي. تروح لدكتور تاني وتسيبك، يقولوا عليا إيه وأنا خطيب بنت عمها؟

نظر وائل مستفزاً ومتوجهاً نحو كريم وقال:

وائل: أنت عمرك شفت حد بيتكلم عن خطيب ابن عم واحدة؟

كريم: ماليش دعوة، هتعالجها يا وائل، وإلا ه...

لم يتأثر وائل وقال لكريم:

وائل: خلصت الكلام الفاضي والهبل اللي بتعمله؟

كريم: أيوة، خلصت. قوم يلا عشان نروح المستشفى. وعمل حسابك، هتعزمني أنا وهمسة على الغدا.

وائل: يابني، هو مش أنت اللي كنت برة وشغال، الحمدلله، أعزمك ليه؟

كريم: ضريبة أخوة. لو مكنتش أخوك، كنت هتبقى وحيد، والناس تشفق عليك وتديك حسنة وكده. وشوفلي ٢٠٠ جنيه معاك صحيح؟

وائل: إيه، الضرايب زادت ولا دي دمغة؟

كريم: لا، أنا لسة ما حولتش الفلوس اللي معايا.

وائل: يعني معاك؟

كريم: أيوة، معايا.

وائل: طب، بقولك إيه؟ واحنا في المستشفى بالمرة، خد كليتي يا كريم، بيعها وعش بفلوسها.

كريم: ولا قوم بدل ما أقومك.

وجه وائل عينيه إلى السماء وقال:

وائل: هو ده... أهه.

الفصل الرابع عشر

وصل كريم ووائل وهمسة إلى مستشفى دار الشفاء المحتجزة بها ندى، ابنة عم همسة، فوجدوا زوجة عمها جالسة تبكي وحدها دون آدم زوج ندى أو هدى توأمها المتطابق.

ذهبت همسة إلى مدام سعاد، زوجة عمها المتوفى، وأخبرتها بقدوم وائل، طبيباً متخصصاً يمكنه مساعدة ندى.

شعرت سعاد بخزي عميق وقالت بحسرة:

سعاد: خليه يقابل الدكتور اللي تابعها اليومين اللي فاتوا.

همسة: اسم الدكتور إيه؟

سعاد: دكتور خالد.

تحركت همسة نحو وائل وكريم، ووجهت كلامها لوائل قائلة:

همسة: تعالى يا وائل، قابل دكتور خالد، عشان أعرف منه التفاصيل. طنط مش راضية تقولي مالها، وشكل الموضوع حساس.

طرق وائل باب مكتب دكتور خالد، فدخل ووجد أن خالد هو زميله الذي سبقه في الكلية بسنتين وتم تعيينه في المستشفى منذ تخرجه.

خالد: وائل، مش معقول! أهلاً وسهلاً، اتفضل.

وائل: يا خالد، عامل إيه؟

خالد: أنا تمام، إيه اللي جابك؟

أشار وائل نحو همسة وقال:

وائل: بنت عم همسة، خطيبة كريم أخويا، عندكم هنا.

خالد: اسمها إيه؟

همسة: ندى نادر.

تغير وجه خالد وبدت على ملامحه التذكر ثم التأثر وقال:

خالد: آه، آه. أنا اللي متابع حالتها. صدمة عصبية، يا دكتور. وكانت فاقدة الوعي، شبه غيبوبة. تقريباً لسة فايقة الصبح.

فقالت همسة:

همسة: ينفع أشوفها، يا دكتور؟

خالد: يستحسن لا. هي واخدة مهدئات عشان نعدي الوقت ده بأقل خساير.

همسة: طب، يا كريم، تعالى نسيبهم ونشوف طنط.

قاما كريم وهمسة، فسأل وائل بسرعة:

وائل: إيه بقى الموضوع؟

خالد: حاجة يا أخي تشل، مش تجيب صدمة نفسية بس.

وائل: إيه يعني اللي حصل؟

خالد: جوزها خانها مع أختها التوأم.

وائل: نعم... ليه؟

خالد: مش بقولك تشل؟

ضحك وائل في رد فعل غير متوقع، وضحك بهستيريا وقال لخالد:

وائل: يا أخي، طب يخونها مع واحدة أحلى منها!

ضحك خالد وقال:

خالد: يابني، ويخونها ليه أصلاً؟

وائل: يا عم، يخونها بس يوم ما يخونها مع واحدة شبهها.

خالد: المشكلة، يا دكتور، إنه كان عارف إنها هدى مش ندى. وحب أختها اللي شبهها، والموضوع اتطور جداً.

وائل: هي متجوزة؟

خالد: مطلقة.

وائل: وبعدين؟

خالد: ولا حاجة. هي طبعاً ما تكلمتش. أنا فهمت كده من كلام مامتها وأختها وجوزها.

وائل: طب، أنا عايز أقابلها، بس محدش يقولها إنّي تابع همسة أو حد من العيلة، عشان تتكلم براحتها.

خالد: تعالى أوديك ليها.

قاما وذهبا إلى غرفة ندى، فرأى وائل ندى، تلك التي اقترب عامها الثلاثين، تبكي كالطفل في صمت. تقدم وائل وهو يعتصر من الألم، ربما ضحك ليداري أو يحتوي الصدمة أمام خالد، لكنه تألم لها جداً.

اقترب منها وجلس مقابلها، وظل صامتاً. خرج خالد وتركهما.

صمت وائل قرابة العشر دقائق، فبكت ندى كثيراً، ثم أمسكت منديلاً ومسحت دموعها الغزيرة وقالت بهدوء وانكسار:

ندى: آسفة، يا فندم، مكنتش قادرة أتكلم قبل ما كل اللي جوايا يطلع دموع.

وائل: وأنا هنا عشان أسمعك وبس.

ندى: حضرتك دكتور؟

وائل: أيوة، أنا طبيب نفسي. اسمي وائل، وموجود هنا عشان أساعدك. بس تقدري تعتبري إنّي مش موجود في الأوضة، واحكي كل اللي تحبي تقولي.

ندى: عارف، أنا كنت بعيط عشان حاجة واحدة.

وائل: إيه هي؟

ندى: كل مرة عيطت قبل كده، كنت ببقى عايزة بابا، الله يرحمه. المرة دي، يا دكتور، ما قولتش ولا حتى لنفسي إنّي عايزة بابا جنبي. الظاهر عليا بقيت أجيد اليتم، بقيت يتيمة شاطرة حتى وأنا بموت، ما جاش على بالي.

وائل: أنتِ درستِ إيه، يا ندى؟

ندى: أنا خريجة علوم.

وائل: حاسك بتتكلمي بوصف كأن دراستك كانت تخص الوصف أو الكلام، أقصد.

ندى: لا، أنا بحب القراءة بس.

وائل: كملي، يا ندى.

ندى: أنت أكيد عرفت أنا هنا ليه.

وائل: سمعت بس أحب أسمع منك.

صمتت ندى وعادت تبكي.

وائل: ندى، أنتِ هنا عشان صدمة بس. عضوياً، أنتِ مفيش حاجة تأثرت في جسمك خالص. فلو وصفنا اللي زعلك بحجمه، هنكون قطعنا ثلثين المشوار.

ندى: أنا هنا، يا دكتور، عشان جوزي اللي متجوزين من أكتر من خمس سنين خانني مع أختي التوأم. ولو أنا قمت من قدامك وهي قعدت، مش هتفرق بيننا في أي حاجة. عندي أسئلة كتير صعبة، بس أكتر سؤال وجعني: لما أبص في المراية ما أفتكرش اللي هي عملته إزاي وأنا كنت شايلة ملامحها في وشي.

ذهبت ندى في غفوة فخرج وائل لعلمه أنها تحت تأثير المهدئات، وأدرك أنها تعاملت معه كما لو كانت في حلم.

متأثراً بما قالت، فكر وائل في من يحتوينا إن كان من خذلنا يحمل ملامحه في وجوهنا.

الفصل الخامس عشر

فاقت ندى من غفوتها وهي تشعر بألم شديد في رأسها. وضعت يمناها على جبينها محاولةً تحجيم الألم الذي بدا وكأنه فاق حجم رأسها. جلست في هدوء وكأنها أدركت ما حدث، ولأنها شخصية عملية ذات عقل مفكر، قررت أن تحسم موقفها. استاءت من وجودها داخل المستشفى، وسألت نفسها: "هو أنا هنا ليه؟ وإيه اللي وصل الموضوع لانهياري؟ أنا خلاص عايزها يتفضل يطلقني ويتجوزها."

طرق باب غرفتها فدخلت إحدى الممرضات وقالت ببشاشة:

الممرضة: مساء الخير.

ندى: مساء الخير، اتفضلي.

الممرضة: أنا كنت بتأكد إنك فوقتي ثواني، وهيجي لحضرتك دكتور يتكلم معاكي.

ذهبت الممرضة، وسرعان ما أتى وائل، الذي انتظر عند خالد زميلة لساعات، بالرغم من ذهاب كريم وهمسة ووالدة ندى، إلا أنه صمم على الانتظار حتى يستكمل علاجها.

وائل: مساء الخير يا ندى.

ندى: مساء الخ... إيه ده، أنا أعرفك. زي ما أكون شفتك في حلم. أنت شفتني قبل كده؟

شعر وائل أنه إذا قال لندى حقيقة وجوده في نفس الغرفة منذ ساعات، سيجعلها تتوتر. لكن إذا جعل شعورها أنه ليس غريبًا عنها، سيكون له تأثير أكبر في جعلها تتكلم فتتعافى أسرع.

وائل: أنا كمان حاسس إني قابلتك قبل كده، لكن ما أفتكرش. دي أهم حاجة. أنا دلوقتي موجود عشان أسمعك.

ندى: بص يا دكتور، مش هعطلك لأني حاسة إني مرتاحة، احكيلك. ببساطة، أنا ليّا أخت توأم متطابقة شبه بعض لدرجة ما تتوصفش. أختي دي اتجوزت من أربع سنين واتطلقت من سنة واحدة. وأنا اتجوزت، وفجأة عرفت إن جوزي بيخونني معاها وهي بتحبه.

وائل: عندك مانع أفكر معاكِ بعيدًا عن الطب والعلاج والتأهيل؟

ندى: لا، طبعًا، اتفضل.

وائل: تعالي نتكلم كأنها قضية وفكرة بعيدة عنك، ونشوف هم عملوا كده ليه.

ندى: موافقة.

وائل: أنتِ بتقولي إن أختك شبهك بالضبط، ده معناه إنكم بنفس الطول والوزن والملامح؟

ندى: أيوة.

وائل: كل واحدة ليها لبس خاص بيها، ولا بتلبسوا لبس بعض؟

ندى: إحنا عايشين على إننا نفس الشخص، مفيش حاجة اسمها بتاعتي وبتاعتها.

وائل: ما يمكن عدم وجود حدود لملكية الحاجات بينكم خلاها تحس إنها ما ينفعش ما تحبش شخص أنتِ بتحبيه.

ندى: بص، هو ممكن، بس فين عقلها وفين أنا لما تقرر إنها تخونني؟ ليه من دون رجال الدنيا تبص لجوزي؟

وائل: لأنه جوزك.

ندى بنبرة ونظرة انكسار: "مش عارفة كان أملي فيها غير كده خالص. طب دي هدى أختي، والبيه بقى ما عندوش مبدأ واحد يقوله ما ينفعش."

وائل: بحسم: "أنتِ عارفة إنه ممكن يكون خانك حبًا فيكِ."

ندى: بص يا دكتور، لو هدى مختلفة عني في حاجة واحدة كنت هقول ذوقه. لكن يعني إيه خانني مع واحدة شبهى حبًا فيا؟

وائل: ما يمكن جوز حضرتك من كتر حبه ليكي لما لقى منك نسخة تانية فيها كل طباعك وملامحك حبها.

ندى: يا سلام! يعني جوزي خانني مع أختي التوأم عشان هي شبهى، فحبني مرتين: مرة حبني ومرة حبني فيها.

وائل: احتمال.

ندى: يا دكتور، ده جوزي مش صاحبي. لما جوزي يعمل كده، اللي المفروض أنا وهو واحد، يلاقي واحدة شبهى فيحبها، وأنت بتقول حبا فيا. طب مين اللي لو لقى مني نسخة تانية فيها كل ملامحي يحب روحي؟

رنت كلماتها في رأس وائل معلنة حصارها له. فخرج مذكرة من جيبه وكتب:

من يحب روحي إذا تطابق وجهي مع شخص آخر؟

الفصل السادس عشر

خرج وائل من غرفة ندى وهو يشعر بضيق شديد وكأنه محاصر، غير قادر على التوقف عن التفكير. ذهب إلى منزله، وأمسك مذكراته وبدأ يكتب:

حاسس أني مخنوق، كأن حرفين في كلمة عمرها ما اتكتبت بلغة لسة محدش قالها. حاسس إني مش عارف أوقف أسأل نفسي: يمكن ده طبع الإنسان وأنا إنسان طبيعي، ولا ده ألم مكتوب عليا؟ ده أول إنسان في الدنيا اتخلق لقى الكون موجود، وأسئلته جاهزة. ياريتني كنت بسأل على شجر وخضرة وشمس وقمر، مكنتش هتوحشيني، مكنش هييجي في بالي ألف سؤال ليه هو.

سمعتهم بيقولوا إنكم اتخلقتم لبعض. طب ليه كل مرة بييجوا يقولوا اسمه بيتلخبطوا ويقولوا اسمي أنا؟ يمكن ما جاش على بال حد إنك تروحي مني، أو ما جاش على بالهم إني واحد منكم. النهارده شُفت واحدة منسحقة من الألم لأنها اتخانت، وكنت بقول كلام عبيط تافه عشان ما افتكرش تفاصيلك. لكن قومت من قدامها مش شايف غيرك، ومش فاهم ليه.

يلا، مش هبكي عاللبن المسكوب، ولو إنه الحاجة الوحيدة اللي كانت تبل الريق وتروي ساعتها، ودلوقتي.

ظهر كريم فجأة كأنه شبح، فانتفض وائل وأغلق مذكراته. قال:

وائل: ايه يا عم، مش تعمل أي صوت؟

كريم: أعملك إيه يعني دلوقتي؟ وبعدين، أنت اتخضيت أوي ليه كده؟ أنت كنت بترسم واحد بيشرب مخدرات، صح؟ أصل محدش هيتخض كده إلا لو في مصيبة في الكراسة دي. أنت اتخضيت كأنها كبسة.

نظر وائل لأخيه العبقري، وفتح مذكراته ليظهر أوراقها ويسأله:

وائل: شايف دخان طالع من النوتة؟

كريم: لا.

وائل: شوفت إنك ظالم؟

كريم: شوفت إني ظلمتك فعلاً؟ أنت مش بترسم ناس بتدخن.

وائل: هو أنا كنت برسم ناس بتدخن بس مش معاهم ولاعة.

ضحك الاثنان، فعلاً افتقدا بعضهما وحديثهما.

وائل: قولي يا كريم، إيه اللي يحصل لو حد جه على نفسه كتير بس مش قادر يكمل كده؟

كريم: أي حد ييجي على نفسه هيساوي واحد.

نظر وائل بدهشة لكريم وقال:

وائل: كريم، أنت بتقول إيه؟

كريم: يابني، أي حاجة على نفسها تساوي واحد.

وائل: برافو يا كريم، أنا فخور بيك. وشكراً جداً بجد.

كريم: شكراً على إيه يا وائل؟ إحنا أخوات.

وائل: لا، شكراً لأني بقيت متأكد إنك زي الباب اللي بيفتح على عالم تافه. كل كلامنا تضييع وقت.

رن تليفون منزلهما، فرد كريم فوجدها همسة.

كريم: الو... أيوة يا همسة... إيه يا حبيبتي؟

همسة: أه، موجود. استني، اندهِه.

نادى كريم وائل ليتكلم مع همسة.

وائل: الو... أيوة يا همسة... قولي.

همسة: معنديش مشكلة لو هما يحبوا يعملوا كده... خلاص بكرة بإذن الله. لا، مش قبل الساعة ٥. خلاص، حاضر، تؤمري. همسة، أنا عايز أسألك سؤال، مع احترامي لكلامك. أنتِ، يابنتي، حاسة إن كريم ينفع أب؟ أصلاً متأكد إن عيالكم هيبقوا زباين عندي من ساعة ما يتعلموا الكلام.

همسة: يلا، أهه، معاكي.

مد وائل يده بسماعة الهاتف لكريم وذهب إلى غرفته. بعد دقائق، أتى كريم ليقول:

كريم: وائل، أنت ليه مش هتقابلهم بدري؟

وائل: كريم يا حبيبي، أنت نسيت إن أنا شغال. هخلص شغلي وأروح لهم.

كريم: اسكت، موضوع الشغل ده شاغلني أوي.

وائل: ليه؟

كريم: الفيلم اللي المفروض كنت هخرجه، وبدأنا شغل فيه، عندي اعتراض على كام حاجة في السيناريو. بفكر أسيبه، مش عايز أول فيلم ليا في مصر يكون غير مقنع.

وائل: بص يا بني، أوعى، أوعى تعمل حاجة تتحط في تاريخك وأنت مش راضي عن تفاصيلها.

كريم: طب ما تقولي فكرة فيلم تتعمل ونبقى راضيين عن تفاصيلها.

وائل: بص يا كريم، أنا مش طايق نفسي. اديني بس فرصة لبكرة وهفكر لك في حاجة محترمة.

كريم: ليه، مالك؟ قولي.

وائل: أي حد لما بيسمع شكاوي الناس بيجي عليه وقت يتضايق أوي. ومفيش حاجة. وبعدين، أنا كل اللي بيتكلموا معايا بيكونوا خلصانين ومستهلكين، الزمن عدّى فيهم حرفياً مشاكل مميتة، فمش بسمع جملة على بعضها عدلة. ارتاح بس، وبكرة لما نرجع من عندهم نتكلم.

كريم: اتفقنا يا حبيبي. طب اسيبك تقعد مع نفسك عشان تهدى.

وقام كريم، بادياً عليه التأثر. وقف عند باب غرفة وائل وقال:

كريم: وائل، أنت كبير في نظري وقيمتك عندي كبيرة. عشان خاطري، أوعى تيجي على نفسك. عشان هتساوي واحد.

وركض كريم من أمام وائل، الذي قام راكضاً وراء أخيه الأصغر، وترك مذكراته بعدما افسح لنفسه حيزاً من داخله بها في كلمات عبرت عن ضيقه.

الفصل السابع عشر

ذهب وائل إلى كريم وهمسة في ميعاده ليتقابل مع آدم وهدى بناءً على طلبهما ليتحدثا معه عن كيفية التعامل مع ندى في بيت عم همسة.

وصل وائل مرهقًا مشدودًا وحذرًا، لأنه لا يدري كيف يتعامل مع آدم وهدى بهدوء واحترام، وهو بداخله يحتقرهما.

همسة: "تعالى يا وائل، اتفضل."

دخل وائل بهدوء بعدما ألقى التحية على الجميع دون مصافحة أحدهم، وجلس بجانب كريم.

همسة: "تشرب إيه يا وائل؟"

وائل: "لا، شكرًا، مش عايز حاجة."

همسة: "طيب، أنا هقوم أعمل شاي وهعملك معانا."

وائل: "ماشي."

لاحظ كريم تغير وائل في التعامل، فمال برأسه إلى أذن وائل وقال:

كريم: "مالك؟ في حاجة حصلت؟"

وائل: "لا، مفيش حاجة، بس قرفان منهم."

كريم: "خضتني، يا عم، طيب بص، أنا هسيبك عشان تقول اللي تحب تقوله."

وبصوت أعلى قال كريم:

كريم: "هسيبكم دلوقتي وأشوف همسة بتعمل إيه."

نظر آدم إلى كريم وهو يخرج، ثم نطق بأولى كلماته:

آدم: "أهلاً وسهلاً يا دكتور."

وائل: "أهلاً بيك."

ونظر وائل تجاه هدى، التي لم تنطق ولو بكلمة واحدة، فبدت عليها علامات الحرج، فسألته:

هدى: "ندى كويسة دلوقتي يا دكتور؟"

وائل: "أه، أحسن. بس عندي ليكي سؤال يا هدى، أنتي حاسة بإيه؟"

ارتبكت هدى وقالت بتلعثم:

هدى: "ندمانة."

وائل: "ندمانة على إيه؟"

بدأت هدى تقول ما يجب أن تقوله، لكنها لم تكن صادقة في تعبيرها. قالت:

هدى: "دي أختي، مكنش ينفع أبص لجوزها."

لكن العجيب أن كان بادياً عليها عكس ما تقول.

وائل: "أنتي محامية يا هدى؟"

هدى: "أه، أنت عرفته منين؟"

وائل: "لا، باين عليكي أوي، كَمِّلي."

هدى: "بس هو ده اللي حساه."

ونظر وائل إلى آدم وقال له:

وائل: "ممكن حضرتك تقولي إنت شايف الموضوع إزاي أو حاسس بإيه؟"

صمت آدم قليلاً فدخلت همسة حاملةً أكواب الشاي وضعتها أمامهم.

رن موبايل آدم، فقال بلهفة:

آدم: "متأسف يا دكتور، كان نفسي أقعد معاك أكتر من كده، بس ده تليفون من الشغل لازم أنزل حالاً."

وخرج آدم دون انتظار لرد من وائل.

نظر وائل إلى هدى ليخبرها بعينيه أن آدم لا يستطيع الوقوف أو المواجهة وأنه خان أختها وهي في تركه. نظرت هدى إلى همسة وقالت:

هدى: "هي ندى هتخرج إمتى يا همسة، عندك فكرة؟"

همسة: "أنا عندي فكرة أحلى من ندى تخرج إمتى."

هدى: "إيه هي؟"

همسة: "إيه رأيك تسيبيها في حالها عشان خاطرنا كلنا؟"

شعرت هدى بالحرج فخرجت من الغرفة وجلس كريم ووائل وهمسة معًا.

كريم: "ماكنش ينفع تأجلي كلامك معاها لحد ما أمشي أنا ووائل."

همسة: "يا بني، ما بتحسش، تيجي تواجهها؟ إنها تحس بالمصيبة اللي عملتها. هي أصلاً مش فاهمة أنها عاملة مشكلة."

وائل: "ما يمكن ده اللي أنتي شايفاه، وهي من جواها متبهدلة، بس ده مش باين ليكي أنتي."

همسة: "سيبك منها، دي قليلة الأدب. اشرب الشاي ونتغدى برة، عشان أنت جاي من الشغل، حرام، ولا أقولك استنى أجيبلك حاجة خفيفة تاكلها قبل الشاي؟"

وقامت همسة بعد دقائق لتأتي بصحن به فاكهة، وبعد دقائق فجأة سمعوا صوت سقوط أشياء كثيرة.

قامت همسة لتنظر ما حدث، ونادت بصوت عالٍ:

همسة: "كريم، وائل، تعالوا بسرعة!"

وجدوا هدى ساقطة. تقدم وائل نحوها فوجد بجانبها علبة كبسولات فارغة فتوقع أنها حاولت التخلص من حياتها.

وائل: "شيل معايا يا كريم."

حملوا هدى وذهبوا إلى المستشفى ليثبت أنها فعلاً حاولت الانتحار. وبعد نجاتها، دخلت في نوبة بكاء وصراخ ولا تستطيع التوقف. وفي منتصف الليل تقريبًا دخل وائل إليها.

وائل بحسم: "ممكن تهدي عشان نتكلم؟ وامشي بقى."

هدى: "أنت عايز تتكلم معايا في إيه؟"

وائل: "أنتي كنتي هتنتحري، هتموتي نفسك، مش حاسة أن ده موضوع نتكلم فيه؟"

هدى: "طب بذمتك، أنت شايف أني أستاهل أعيش بعد اللي عرفته عني؟ أنا مش مصدقة أني عملت كده. أنا... أنا خنت أختي. مش عارفة ده حصل إزاي. طب لو هو حتى حاول يقرب مني، ده أنا لو قلت لها وخربت بيتها، هيكون أكرملي من أني أكون أنا اللي أموته."

وائل: "طب خلاص، غلطتي، المفروض من وجهة نظرك نصلح الغلط ولا نغلط غلط أكبر؟"

هدى: "هو أنت ماسألتش نفسك أنا هبص في وش الناس إزاي؟ ومين هيحترمني بعد ما غلطت غلطة واحدة خلتني أبان واحدة مش محترمة؟ ويتعاملوا معايا من وقعة واحدة على أني عمري ما اتعلمت المشي. مش يمكن اتكعبلت غصب عني، وقعت من غير ما أقصد. أعيش مع مين؟ ومين يرمم صورتي لنفسي واحترامي لنفسي ويدافع عني قدام الناس لما أغلط غلطة أكبر من حجمي؟؟"

الفصل الثامن عشر

قام وائل صامتا من أمام هدى المنهارة، وبعد دقائق عاد لها مرة أخرى وقال:

وائل: "مش من عادتي أحط إيدي على حد، لكني عايز حاجة، ممكن أطبطب عليك؟"

لمعت عيني هدى ففهم ردها من دون كلام، فحرك يده فوق كتفها وربت عليها وقال:

وائل: "اعتبري ما حصلش حاجة، وسيبي موضوع ندى عليا."

أغمضت هدى عينها كطفل سكن حضن أمه. تنهدت هدى وكأنها زفرت كل الألم وأطفأت نار احتقارها لذاتها.

وائل: "نامي دلوقتي وهقابلك بكرة بإذن الله."

هدى: "وعد هتيجي؟"

وائل: "وعد طبعًا."

وخرج وائل، لكن قبل أن يتجاوز الباب، مد يده وأطفأ نور الغرفة، وذهب إلى بيته.

وجد كريم جالسًا ويتحدث مع همسة.

وائل: "مساء الخير يا كريم."

كريم: "مساء النور، همسة هسيبك دلوقتي، أشوف وائل وأجيلك."

أغلق كريم الهاتف ونظر نحو وائل وقال:

كريم: "أنا مش عارف أقولك إيه على البهدلة اللي بتحصلك بسببي."

تعجب وائل وقال: "بسببك أنت؟"

كريم: "أيوة، مش ندى وهدى قرايب همسة."

وائل: "يعني هما الاثنين دول بس اللي عندهم مشاكل من دون الناس؟ يا بني، الناس عايشة بنفسيات مقتولة، تلاقيه عايش وبيشتغل وناجح وفي خنجر في نفسه من ابنه أو مراته أو أخوه. الناس كلها كده يا صديقي. المهم، قولي، بابا وماما فين؟"

كريم: "سافروا عند خالك، هيقضوا عنده أسبوع عشان ماما تجهز معاهم فرح بسنت بنت خالك."

وائل: "يعني مفيش أكل؟"

كريم: "هو في؟ أنا جايبلك أكل معايا، بس أنت مالك فيك إيه؟"

وائل: "مستني إيه من واحد بقاله 14 ساعة بيسمع مشاكل ناس ويتفرج على عياطهم ودموعهم؟"

كريم: "أيوة، بس أنت مالك، ما تسمعهم باعتبار أنهم فيلم مثلاً أو قصة بتتقالك."

وائل: "كريم، تفتكر مين في ندى وهدى الغلطانين؟"

كريم: "إيه السؤال العبيط ده؟ أنت عايزني أقولك كل واحد فيهم غلط في إيه؟"

وائل: "آه، من ناحية ربنا، أنا مش ملاحظ حاجة، بس عايز أعرف رأيك."

كريم: "هدى غلطت طبعًا، يعني ندى منين كانت عايزة تتوقع منها سلوك محترم؟"

وائل: "إزاي يعني؟"

كريم: "هدى مش محترمة، وعشان أكون صادق، هي اللي تسببت في الدوشة كلها، لكن ندى كانت مشاغبة، وده مش عذر لهدى."

وائل: "يعني ندى لم تجب أن تقابلها بيديها؟"

كريم: "أيوة، هو ده اللي قلته."

وائل: "طب وأنا؟"

كريم: "يعني أنا مش فاهمك، هتعمل إيه دلوقتي؟"

وائل: "حاجة واحدة، والله هو وحده اللي عارفها."

كريم: "إيه هي؟"

وائل: "أنا هقعد أسمعهم لمين دلوقتي."

كريم: "أنت زي ما قلت، مش هتشوفهم. سبتهم لمين؟"

وائل: "اللي أنا شوفته بكرا، هعمل إيه؟"

كريم: "بص، الموضوع ده مكشوف، ولما الأمور تتنظم، هتلاقينا أول ناس مخلصين."

وائل: "شكراً."

كريم: "طيب، هنتناول العشاء ونمشي."

الفصل التاسع عشر

استفاق وائل في الصباح بعد غفوة طويلة قليلاً، ومن دون أن يدري متى وكيف أنهى الروتين اليومي كاستحمام وتنظيم ملابسه، وجد نفسه يطرق باب غرفة هدى في المستشفى.

هدى: ادخل.

وائل: صباح الخير.

هدى: إيه ده، وائل؟ أهلاً وسهلاً، صباح النور، تفضل.

وائل: عاملة إيه دلوقتي؟

هدى: بخير الحمد لله، المهم أنت يا دكتور.

وائل: أنا قلقان عليكِ أوي، ومش عارف أعمل أي حاجة إلا لما أطمئن عليكِ.

هدى: بتتكلم بجد؟

وائل: أيوة، وأهزر ليه؟

تلعثمت هدى ثم قالت: عشان... يعني...

أنا أكيد في نظرك واحدة حقيرة خانت أختها وغلطت غلطة كبيرة، أكيد...

قاطعها وائل بسؤال: أنتي حقيرة؟ طب مين اللي مش حقير؟

هدى: يعني إيه؟

وائل: يعني مين من كل اللي تعرفيهم مش حقير؟ مين اللي لو دورنا في أسراره وعرفنا بيعمل إيه من ورا الناس هيفضل في نظرنا زي ما هو؟ يابنتي اهدي، كلنا حقراء بس بدرجات، ولولا ستر ربنا ما كانش حد هيبص في وش التاني.

هدى: يعني إيه الكلام ده؟

وائل: سيبك من الكلام ده، أنا جاي أخدك عشان خلاص مفيش داعي تفضلي موجودة هنا.

هدى: فعلاً؟

وائل: يابنتي، إنتي جايه في حادثة، أخدتي دوا عملك مشكلة، وبناءً عليه عملتي غسيل معدة، وخلاص خلصنا.

هدى: طب ندى، إيه أخبارها؟

وائل: ندى خرجت إمبارح بالليل، بس بلاش تتقابلوا دلوقتي، بصي، دلوقتي قومي البسي هدومك بدل لبس المستشفى ده، وأنا هخلص الحساب وأخدك ونمشي.

قام وائل من أمام هدى، وما إن خرج من غرفتها ورن هاتفه وجد اتصالاً من ندى.

وائل: الو، يا ندى، صباح الخير...

ندى: صحيت ونزلت مشوار كمان...

وائل: أيوة، كنتي قايلة لي أكلمك، صح، بس معلش نزلت مستعجل أوي. أخلص بس اللي بعمله وأكلمك...

ندى: حاضر... سلام.

انصرف وائل وانتظر هدى على باب المستشفى، تقدم نحو سيارته وفتح الباب اليمين لها، وذهب ليقود سيارته، وبعد دقائق لم يتكلم أي منهما حتى قالت هدى: أنا تعبتك يا وائل.

وائل: ولا يهمك، تعبك راحة.

أوقف وائل السيارة وقال: انزلي، تعالي نشرب حاجة سوا.

قبلت هدى بسرعة لأنها تشعر في داخلها أن وائل هو الوحيد الذي يتعامل معها باحترام وتقدير، بينما المحيطين بها يتجاهلونها.

دخل وائل وهدى إلى كازينو، وطلب وائل عصيرًا لهدى وقهوة لنفسه، وقال بهدوء كمن يطمئن طفلًا كي ينام: هدى، كلنا عندنا حاجات نتكسف منها، انسي اللي حصل كأنه كان حلم، أو زي ما إنتِ قلتي، واحد ماشي واتعثر وقع. مش صح يقول طالما الوقت ده مش هعرف أمشي تاني، الصح إنك تقومين وتنفضين هدومك وتكملين. هنتكلم شوية بس هتتفاجئي بحاجة، الناس يا صديقتي نسايا، بينسوا كل حاجة لأي حد وبسرعة مذهلة، فلو بعدتي عنهم شوية هيعاملوكِ عادي، صدقيني.

هدى: طب دي الناس وندى يا وائل؟

وائل: إنتوا أخوات وما لكمش غير بعض.

وصلت رسالة على موبايل وائل من ندى مكتوب فيها: وائل لو متاح كلمني ضروري.

قال وائل لهدى: استأذنك ثواني، ثم قام واتصل بندى وسمع صوتها تبكي.

وائل: مالك يا ندى؟

ندى: آدم سافر وساب البلد.

وائل: سافر فين؟

ندى: كندا.

وائل: وعرفتي إزاي؟

ندى: واحد صاحبه قالي حالاً.

وائل: طب اهدي دلوقتي وهنتصرف.

ندى: أنا مش هبقى هادية إلا لما اتطلق منه. ده حتى ما هانش عليه يعتذر لي على اللي عمله فيا.

وائل: اهدي طيب، وهنحل كل المشاكل بس واحدة واحدة. أنا هسيبك دلوقتي وهكلمك كمان شوية.

عاد وائل إلى هدى فوجد الجرسون يضع أمامهما عصيرًا وقهوة ووردة، وبابتسامة لطيفة ذهب دون كلام. نظرت هدى إلى الوردة ولامعت عيناها، وفهم وائل نظرتها فامسك الوردة وقدمها لهدى قائلاً: أظن إن دي حاجة رقيقة وجميلة وصغيرة تشبهك.

ابتسمت هدى ومدت يدها لتأخذ الوردة وعيناها تتأمل في عيني وائل، ثم مد وائل يده وربت على يدها وقال: متخافيش، أنا جنبك.

تنهدت هدى وصمتت كأنها طفلة وجدت أمها، وبعد قليل من الصمت قال وائل: يلا، أروحك عشان ترتاحي في البيت.

قامت هدى دون كلام، لتحتفظ بصوت وائل في أذنيها من دون أي أصوات أخرى. وعادا إلى السيارة وأوصلها إلى بيتها. اتصلت به ندى مرة أخرى فقال وائل بهدوء: ندى، أنا عارف إنك مصدومة، بس اهدي واطمئني، لو كل الناس سابوك، أنا هفضل جنبك، اهدي خالص، عشان تنفصلي عن آدم من غير ما نفضح أختك.

ندى: طب افترض رفض يطلقني؟

وائل: خليكي واثقة فيا، وأنا هفضل معاكي طول ما ربنا مديني عمر.

ندى: ربنا يخليك ليا يا وائل، يا رب.

عاد إلى بيته، أمسك مذكراته وكتب:

"يمكن أكون بطلت أحبك، بس مقدرش أقول إني بطلت أشتاق لك. فربما أعطي نفسي فرصة أحب، بس أكيد هفضل أشتاق لك. تعرفي، كل حاجة من غيرك مستقرة، واليوم ماشي طبيعي وبنجز وبكبر، والأحلام بتقرب بس ناقصاك. الحلم ناقصه عينك والجملة ناقصها صوتك، وفي أعلى لحظات الصمت أشتاق لصوت نفسك. صحيح، تعرفي إن بقالك كام يوم وحشني صوتك، وإحنا بنخانق لما كنت تقولي: خلاص يا وائل أنا متضايقة دلوقتي. تخيلي لما كل كلام الحب يعدي، واللي يوحشني غضبك كان حقيقي حلو، وكنت بحبه بجد. يلا، أنا بس حبيت أقولك إني بفكر أبدأ أحب، لأننا خلاص انتهينا من حياة بعض، بس وأنا بحب هفضل أكتب لك، وهتفضلي في بالي لحد ما أبطل أشتاق لك أو ألاقيك وأشبع منك. بس قوليلي، تفتكري واحدة زيك هي اللي باعت وهي اللي سابت، لما سابتني راحت لحد شكله إيه، شبهي ولا عكسي؟ طب الأهم لما بتتعامل معاه، مش بتغلطي في اسمه وتندهي لي؟ مش مهم، خليكوا مع بعض، وأنا يمكن أنسى ويمكن لا، بس عموماً هانت."

الفصل العشرون

استفاق وائل في الصباح، فنادى بصوت عالٍ على أخيه، فجاء كريم مفزوعًا.

كريم: إيه يا وائل، في إيه؟

وائل: تطلع شرم الشيخ دلوقتي.

كريم: إيه ده، في إيه؟

وائل: أنا قررت أسافر، تيجي معايا؟

كريم: يابني، أنت مجنون، تسافر إيه المرة واحدة كده؟ دي النداهة صح؟

وائل: نداهة إيه؟

كريم: العفريتة بتاعت زمان اللي بتنده الناس عند الترعة.

وائل: أنت فاهم إن شرم الشيخ فيها ترعة؟

كريم: لا، أهه، غرق وخلاص.

قام وائل وأمسك في يده حقيبة كبيرة اعتاد السفر بها، وقال: المهم، أنا هسافر شرم دلوقتي.

كريم: طب اقعد بس.

لم يلتفت وائل، فقال كريم: طب نروح مكان أقرب من شرم، هو لازم نروح آخر الدنيا؟ ما نروح حتة أقرب.

وائل: فين يعني؟ آه، هتقولي إسكندرية طبعًا.

كريم: هو في أحلى من إسكندرية؟

وائل: بصراحة لا.

كريم: وساعتين ونبقى هناك.

وائل: طب جهز نفسك، وأنا هكلم الشغل أقولهم إني مش رايح كام يوم.

كريم: حاضر، بس قولي إيه اللي طلعها في دماغك.

وائل: يا عم زهقت، يلا بس.

ما إن انتهى كريم من إعداد نفسه للسفر حتى سمع وائل يقول: آه، يا فندم، تذكرتين شرم.

طب كويس أوي، يادوب نلحق.

ثم وجه كلامه لكريم وقال: أنا حجزت طيران لشرم وفندق في دهب.

كريم: الله، أنا مبسوط أوي إنك بتعاملني على إنّي المج بتاعك. يا عم، مش عايز أروح شرم، أنا.

وائل: رايحين دهب يا صاحبي، يلا بس.

سرعان ما وصلا الفندق وسكنا في غرفتين مشتركتين. ترك وائل حقيبته وموبايله وقال لكريم: بقولك إيه، أنا نازل، وهرجع وقت ما أحب. ماتدورش عليّ، شوف أنت هتعمل إيه وخلي بالك من نفسك.

كريم: هو أنا جاي أقعد لوحدي؟

وائل: كلم همسة، احكي معاها شوية، وأنا جاي.

خرج وائل بعد عشر دقائق فقط من دخوله الغرفة، فبدّل ثيابه وأخذ مذكراته وركض إلى مكان ليس بعيدًا عن الفندق، وجلس وحيدًا صامتًا، دامعًا، ولا أحد يدري ماذا به.

فكتب:

"أوعي تكوني زعلتي إني قولتلك بطلت أحبك. أنا لسة بحبك زي ما إنتِ، حتى لو بعيدة، أنا جاي لك. على فكرة، أنا في نفس المكان اللي قولتلك فيه بحبك أول مرة. عشان أجدد العهد مرة تانية. بحبك وبحبك ألف مرة. أوعي تكوني بتصدقي لما بقول إني هعرف أحب. أنا دكتور لأني درست طب واتخصصت، ومحب لأني حبيتك وخصصت حبي وقلبي وفكري عشانك. مش قادر أطلع برة حبك، ولو إنك عاملة زي السجن، بس سجن جميل، معتقل مشبع مالوش بيبان، لكن سحرك مانعني من الخروج. تعرفي؟ مش قادر أتخيل إنّي أقول لواحدة غيرك بحبك، عشان بحبك...."

ودمع وائل المهزوم وجلس كثيرًا في صمت ثم استأنف تفكيره فكتب:

"عارفة؟ أنا خايف أوي. خايف أحب غيرك، مانساش. خايف ماحبش غيرك، أنسى. أنتي عارفة إنك أكبر مثل، لأن اللي بيخونونا مش لازم يبقوا بيعانوا. من ساعة ما خذلتيني، وإنتِ منورة، والناس بتقول عنكم أحلى كلام، بتقول إنكم اتخلقتوا لبعض، وبتحبوا بعض وسعداء جدًا. معقول يكون كسرة قلبي فرحتكم؟ وحزني قدم لكم سعادة تعيشوا بيها؟ مش معقول، لا. أو اتبسطوا وخلاص. المهم إنك مبسوطة. يلا، أنا هقوم عشان أرجع للواد اللي جاي معايا غصب ده."

قام وائل بعدما عانى في الكتابة بسبب ظلام الليل البادئ منذ ساعات، وعاد هادئًا. طرق باب غرفته وأخيه فتح كريم مفزوعًا.

كريم: ما بدري يا وائل.

وائل: أنت كنت نايم؟

كريم: أنام إزاي وأنت مختفي كده؟

وائل: معلش، كان في حد واحشني وكنت محتاج أقعد معاه.

كريم: وما جبتوش ليه، إن شاء الله يقضي اليوم هنا؟

وائل: ماهو مش هنا أصلاً.

كريم: أنت كنت في مقابر ولا إيه؟ يا ابن، إحنا في الشرقية، إحنا في شرم الشيخ. رحت مقابر مين بقى؟

وائل: صدقني، ياريت كان ميت كنت على الأقل هترحم عليه، المشكلة إنه عايش أحلى عيشة.

كريم: وائل، أنت اتجننت من كتر تعاملك مع مجانين. لو ما تكلمتش كلام عاقل، هاكلك علقة. أنطق، كنت مع مين؟

وائل: هشرح لك، ولو إن الكلام ده كبير عليك. بص يا سيدي، عارف أبعد شخص عنك مين هو؟

كريم: مين؟

وائل: الشخص اللي جواك. لأن الشخص ده لو جنبك هتطوله. لو مسافر، هتبعت له. لو مات، هتفكر فيه وتقول الله يرحمه. لكن أبعد شخص عنك هو العايش كويس من غيرك، لكنك خصصت له حتة من روحك. فأنك تقول اسمه بقى عيب عليك. لكنه أكتر اسم بيتنطق جواك. بتقيس عليه يومك كله. لو معايا كنت هبقى مبسوط. طب هو كان هيبقى مبسوط؟ طب كان هيبقى فخور بيا يوم ما نجحت؟ طب أول مرة خرجت فورمال ببدلة بعد ما كان بيحب يشوفك لابس بدل، وتقف قدام المراية وتقول كنت هعجبه أو هيقول لي: أخد بالي من حاجة؟ أهه، قدامك، بس ما يصحش تتعامل معاه لأنه ما بقاش عايزك..."

صمت كريم مصدومًا من عمق ألم أخيه، وفهم أنه كان يبحث عن الهواء الذي تنفسه في مكان ما وذهب مرة أخرى يبحث عن نسمة أخذتها الرياح.

فاحتضن كريم وائل وقال له: "أنا فخور بيك وفخور بمحاولاتك مهما كانت كثيرة وفشلت. فخور بكل خطوة أخدتها حتى لو وقعت ألف مرة. فخور بيك الألف مرة."

هدأ وائل جدًا وسكن.

ثم سأله كريم: "أنت كلت؟"

وائل: "لا خالص."

كريم: "يخرب بيتك، أنت عارف الساعة كام؟"

أمسك وائل موبايله وقال: "يا نهار أسود."

ثم بعد ثوانٍ قال ثانيًا: "يا نهار أسود."

كريم: "ما خلاص يا عم، هتسود اليوم ليه؟"

وائل: "لا، دول يومين سود ورا بعض."

كريم: "ليه يا متفائل؟"

وائل: "أولًا، عشان لاقيت الساعة أربعة إلا ربع صباحًا، ده معناه إن بقالي أكتر من عشر ساعات برة. تاني يوم أسود، بص في كام مكالمة."

نظر كريم على موبايل وائل فوجد مائة وأربع وثلاثين مكالمة لم يرد عليها.

كريم: "يا نهار أسود، إيه ده يا عشر سنين سود؟ مين اللي اتصل ده كله؟"

وائل: "ندى وهدى وحد من الشغل، وانت يا بني رانّن عليّ كتير. أنت مش شايف الموبايل قدامك؟"

كريم: "آه، وكنت سامعه."

وائل: "طب بتتصل ليه؟"

كريم: "قلت يمكن تقلق لما الموبايل يرن كتير."

وائل: "نام يا كريم بدل ما أخبطك بحاجة."

وضع وائل الموبايل بجانبه. ما إن تركه حتى رن هاتفه، فوجد أن ندى تتصل به. رد مسرعًا قلقًا.

وائل: "الو، يا ندى."

ندى: "أنت فين يا وائل؟"

وائل: "أنا في دهب، قوليلي في إيه؟"

ندى: "ومش بترد عليّ ليه؟"

وائل: "كنت برة وسايب الموبايل، يا بنتي، في حاجة؟"

ندى: "في أني قلقت عليك يا وائل. إيه، مش من حقي؟"

وائل: "ما قلتش كده، طب نامي دلوقتي وبكرة نحكي."

ندى: "لا، مش هنام، ومش هقفل، و قولي إيه اللي وداك، ولوحدك ولا معاك حد؟"

توتر وائل وشعر بغضب من أسلوب ندى فقال: "أنا وكريم بعد إذنك."

ندى: "وبترد من غير نفس كده ليه؟"

وائل: "عشان مش بحب حد يسألني أسئلة كتير ورا بعض."

ندى: "آه، قولي بقى إنك من الرجالة اللي بتضايق لما مراته تسأله كنت فين وعملت إيه."

وائل: "مراته؟!"

ندى: "أيوة يا وائل، مراته."

بص بقى، أنا معرفش إيه اللي حصل. أنا مش متخيلة إني أكمل حياتي من غيرك. هتطلق من آدم وتيجيني، ولو مش بمزاجك، غصب عنك. ومش هتسيب الموبايل في مكان، ومش هتنام إلا لما تقولي تصبحي على خير يا ست الكل."

ابتسم وائل جدًا وقال مازحًا: "تصبحي على خير يا ست الكل."

ندى: "بحبك... باي."

ونام وائل دون أن يأكل طوال اليوم الذي قبله. لكنه نام هذه الليلة من فرط الشبع.

الفصل الحادي والعشرون

استفاق وائل في الصباح يشعر بنشاط غريب، فاستدعى كريم ليبدأوا يومهم بالخروج والترفيه. ارتدى شورتًا وقميصًا واسعًا، ونزل إلى باب الفندق، حيث تبعه كريم. وقف وائل ليستوقف تاكسيًا من بعيد، ووقف التاكسي، ففوجئ وائل وكريم بظهور هدى التي وصلت للتو.

تبادل وائل وكريم نظرات الدهشة، بادر وائل بمد يده ليصافح هدى، فقال كريم مرتبكًا: "إيه ده، انتي هدى ولا ندى؟"

لم ينتظر وائل رد هدى، فقال سريعًا: "دي هدى يا بني."

وقفت هدى بثقة ورشاقة، ممتلئة أنوثة، وصافحت وائل وكريم، ثم قالت: "عرفت من همسة إنكم هنا، فقررت أجي أقعد هنا، وبالمرة نكمل علاج يا دكتور."

ثم خفضت صوتها بأداء أكثر أنوثة: "ولا عندك مشكلة تعمل كام جلسة في اليومين دول؟"

وائل: "لا، تحت أمرك طبعًا."

هدى: "إنتوا رايحين فين دلوقتي؟"

كريم: "كنا خارجين في البلد."

هدى: "طب براحتكم اتفسحوا. بس قولي يا دكتور، ينفع تديني ميعاد النهاردة الساعة كام؟"

وائل: "الساعة عشرة كويس؟"

هدى: "اتفقنا يا دكتور."

دخلت هدى الفندق، وذهب وائل وكريم لقضاء يوم غير تقليدي. اشترى كريم هدايا لخطيبته ومحبوبته همسة، وجلسا يتذكران ذكريات طفولتهما. تحدث كريم عن سفره وما حدث له طوال السنوات الخمس الماضية.

عادا إلى الفندق حتى لا يتأخر وائل عن ميعاده مع هدى. بينما كانا في طريق العودة، رن موبايل وائل، فوجد ندى تتصل به. رد بهدوء، لكن ندى كانت عصبية كما هو معتاد.

ندى: "لا بجد حضرتك لسة فاكرني؟"

وائل: "إيه في إيه يا ندى؟"

ندى: "مش المفروض لما تصحى تكلمني أو تشوف أنا فين؟ سيبك من أنك تطمئنّي. حضرتك مش قلقان؟ مش مشغول عليا؟ ماوحشتكش يا أخي؟"

وائل: "اهدي طيب، أنا رايح جلسة أخلصها وأكلمك."

ندى: "هو مش أنت في إجازة؟"

وائل: "حد جاء ورايا عشان يقعد معايا."

ندى: "الحد ده راجل؟"

وائل: "بصراحة لا."

ندى: "آه طيب، خليها تنفعك يا وائل. سلام."

وضع وائل الموبايل في جيب الشورت دون أن يظهر على وجهه أي ملامح.
كريم، الذي كان يسمع الصوت من بعيد، سأل:

كريم: "في إيه؟ مين اللي يتزعق دي؟"

وائل: "بتزعق إزاي؟"

كريم: "أيوة، أنا سامع صوتها من بعيد."

وائل: "ما أنت عارف، يا صديقي، أنا مش بتعامل إلا مع المختلين. كبر دماغك."

وصلوا إلى الفندق، وعند دخول وائل من الباب، وجد هدى تنتظره، وقالت:

هدى: "كويس أوي يا دكتور، ميعادك مظبوط."

وائل: "هو أنا أقدر أتأخر عليكِ؟"

قال كريم لوائل ساخرًا: "أنا طالع الأوضة ومستنيك يا دكتور، ولا بايت برة."

لم ينتظر كريم رد وائل، ودخل إلى المصعد. نظر وائل إلى هدى وقال:

وائل: "سيبك منه، يلا بينا. تحبي نقعد هنا ولا برة؟"

هدى: "برة أفضل. بقولك إيه، عندك مانع نتمشى؟"

وائل: "بالعكس، يلا بينا."

خرجا معًا، وما إن تحركا من أمام الفندق حتى شعرت يد هدى تعانق يده بهدوء وتلقائية. دار في رأسه سبب فعلها وفعل أختها، ففكر أنه لديه فرصة لفصل رأسه عن التفكير وبدء الاستمتاع بالموقف.

قال في نفسه إنه الآن بصحبة امرأة واضحة أنها تحبه في ليل هادئ، فليعش اللحظة وينسى ما يدور برأسه. قاطع تفكيره صوت هدى:

هدى: "روحت فين يا وائل؟"

وائل: "بفكر."

هدى: "بتفكر في إيه يا أستاذ؟"

وائل: "بفكر فيكِ."

هدى: "فيا أنا؟"

وائل: "أيوة فيكِ، إيه اللي يخلي واحدة جميلة زيك تفكر إنها تيجي عشاني لحد هنا؟"

هدى: "عشان أنت أنقذتني مرتين."

وائل: "مرتين إيه؟ أنتِ ناوية تنتحري تاني؟"

هدى: "لا خالص، أنا قررت أعيش."

وائل: "قرار هايل، بس ليه بقى؟"

هدى: "لأنك الشخص اللي كنت بدور عليه ومش عارفة أوصله."

وائل: "أنا؟ كنتِ بتدوري على إيه بقى؟"

هدى: "كنت بدور على شخص يصالحني على نفسي."

وائل: "وأنا صالحتك على نفسك إزاي بقى؟"

هدى: "عينك وأنت باصص لي كانت مش محتقراني. خلّتني أشوف النظرة اللي كنت أدفع عمري عشان أشوفها في عين حد. كل الناس تعاملت معايا على أني زبالة، واحدة اتولدت عشان تبقى مؤذية. ما يعرفوش أن كل اللي حصل موتني ألف مرة قبل ما يصدمهم. وعلى فكرة، أنا عارفة إن أي حد لو شافني ماسكة إيدك دلوقتي هيقول عليا بضحك عليك عشان تتجوزني ولا حاجة، ما يعرفوش إنك رديت روحي، وأنا كلي ما غلاش عليك."

وائل: "لا، أنتِ غالية، وغالية جدًا كمان. وانسي بقى موضوع آدم كأنه ما حصلش. أنتِ أكبر من الغلطة الكبيرة. الناس بتحطنا جنب وصف، يعني

دكتور فلان أو فلان اللي بيعمل كذا. كل الناس بتوصف اللي بيستفيدوه منا، مش قيمتنا الحقيقية."

هدى: "طب مين بقى ينفع لما يتقال اسمنا قدامه نكون أول ناس بتيجي على باله؟"

وائل: "لا، ده في سؤال أصعب."

هدى: "إيه هو؟"

وائل: "مين اللي لما يتعامل معانا ما يحطش جنب اسمنا وصف؟ ومين يتعامل معانا من غير انطباع، يتعامل معانا زي ما إحنا باللي فينا، أيًا كان؟"

ضغطت هدى على يد وائل بقوة وقالت: "ممكن تكون الشخص ده، الشخص اللي يعاملني وكأنني اتولدت ساعة ما عرفته. أنا مكسوفة أوي من اللي عشته. ممكن متحاسبنيش أو تعاتبني على اللي فات قبلك."

وائل: "أنا عمري ما كلمتك عن حاجة فاتت."

هدى: "وائل، أنا بحبك، أنت فاهم كده صح؟"

انطلقت من فم وائل كلمة لم يفكر قبل نطقها، على غير عادته، فقال:

وائل: "أنتِ كمان."

تركت هدى يده وبعُدت خطوتين، ونظرت إليه بدقة وقالت: "يعني إيه؟ أنتِ كمان؟ هما كتير أوي كده؟"

ارتبك وائل وحاول السيطرة على الموقف، فقال لها: "خالص، مش كتير ولا حاجة. كل الفكرة إنّي لما بقعد مع حد ويفتح لي قلبه، بحس إنه بيحبني، فده يا ندى مش حب، ده راحة."

هدى: "وائل، أنا عاقلة كفاية أوصف اللي حاسة بيه، وأنا قولت لك إني بحبك."

ثم قالت بحزن وبمقدار منكس: "اعتبرني واحدة من كتير بيحبوك. أنا ما حسّتش إني بني آدمه غير لما قابلتك."

لاحظ وائل دموعها فتقدم نحوها، أحاط رأسها بيديه، رفع وجهها لوجهه، ونظر في عينيها وصمت تمامًا ناظرًا في عينيها ولا ينطق ولو بكلمة واحدة. ثم دفعها نحوه وعانقها بقوة، وظل يحرك يده فوق رأسها وهمس في أذنها: "متخافيش، أنا هنا. مش هسيبك، ومش هسمح لحد يقولك نص كلمة."

رفعت هدى يديها وعانقته كأنها تريد أن تخترق عظامه وتختفي كلها فيه، وقالت: "أرجوك ماتسيبنيش عشان خاطري. أنا ماليش غيرك. أنت آخر حد

ليا. أنا عارفة إني وحشة، بس أنا شوفت نفسي حلوة في عينك. خليك معايا، خليك جنبي. خليني أشوف نفسي بعينك. أنا بحبك حب المعنى، حبي لقيمتي، حبي لنفسي. أعيش جنبك ساكتة بس ماتسيبنيش، الله يخليك."

وضع وائل يده على خديها، رفع وجهها، وجعل وجهها مقابل وجهه، وبصمت قبل جبهتها وقال: "أنا آسف يا هدى عن كل واحد حكم عليك كأنك مجرمة في حقه، وأنتِ مش غلطانة غير في نفسك."

تنهدت هدى ودارت الأرض بها حتى كادت تفقد وعيها. ارتمت على وائل فظل واقفًا ممسكًا بها، لم يدعها تسقط. أمسك يديها بيديه، ورفع يديها وجعلها تدور حول نفسها، وبعد عدة دورانات، عانقها وقال بصوت مسموع وواضح: "بحبك أنا كمان، بحبك. وعندي استعداد أتجوزك."

لم تصدق هدى، وقالت بهدوء: "وائل، أنت أكرم من كده. مقدرش أواجه الناس وأنا مراتك، لا مقدرش."

قال وائل بثبات وثقة: "كل ما تلاقي حد بصلك بطريقة ما تلقيش بيكي، اعرفي إنك مرات واحد شايفك أكمل ست في الدنيا. ويلا نرجع عشان مش هينفع نكمل مشي، والميكاب باظ منك."

هدى: "باظ بجد؟"

وائل: "أيوة طبعًا. يلا قدامي، وتطلعي جري على الأوضة عشان تغسلي وشك ده."

واغلق عينه إلى نصفها متفحصًا وجهها وقال مداعبًا: "هدى، أنتي فين مناخيرك؟ وشك ساح على بعضه."

عادت هدى إلى الفندق بقلب حي ينبض، وعاد وائل بقلب مضطرب منقبض. كيف يخبر كريم أنه وعد هدى بالزواج؟ دخل وائل غرفته، فوجد كريم نائمًا، فقال في نفسه: "كويس أوي، بكرة أبقى أجيبهاله واحدة واحدة."

ونام وائل بصعوبة، لكنه نام أخيرًا.

الفصل الثاني والعشرون

استفاق وائل على صوت طرقات الباب القوية من دورة المياه، وسمع صوت كريم يناديه: "وائل، قوم افتحلي، مش عارف الباب يفتح." قاوم وائل رغبة النوم، وفتح عينيه بصعوبة، وذهب إلى الباب قائلاً: "إيه المشكلة؟"

رد كريم بصوت متوتر: "مش عارف، حاولت أفتح الباب ومش راضي يفتح. لو كان الموضوع بسيط، ما كنتش صحيتك."

وائل: "استنى، هاتصل بالهوم سيرفس." بعد عشر دقائق، انتهى مسؤول صيانة الغرف من فتح الباب وإصلاحه، وخرج بعدما اعتذر وأغلق باب الغرفة خلفه. جلس كريم ووائل على السريرين.

قال كريم: "معلش، قلقتك يا حبيبي."

وائل: "ما لازم تطلع حتى لو هقلق. مفيش غيري يلحقك مش بمزاجك يعني."

كريم: "إنت رجعت إمتى صحيح؟"

وائل: "بليل، رجعت لقيتك نايم."

كريم: "وعملت إيه مع هدى؟"

وائل: "هتجوزها."

كريم: "هتتجوز مين يا وائل؟"

وائل: "هدى، يا بني."

تغيرت ملامح كريم، واعتدل في جلسته بحدة، قائلاً: "إنت رايح تتجوز واحدة يوم ما عرفتها، وعرفت تقريبا في قضية آداب؟ قولي إنك بتهزر."

وائل: "اعتبرني بتهزر."

كريم: "يا بني، بطل استفزاز. إنت تفكر تتجوز هدى بجد ولا بتهزر؟"

وائل: "بفكر، آه. لكن معرفش هتجوزها ولا لأ، دي في علم الغيب."

كريم: "غيب إيه، دي في علم الخيب. دي خيبة، ده هبل، ده استفزاز. دكتور نفسي عبيط قرر يتجوز واحدة من مرضاه. بقولك إيه، إنت تقفل الموضوع ده يا وائل."

وائل: "أيوة، أقفله ليه بقى؟ يمكن تكون بتحبني بجد."

كريم: "يا بني، دي خانت أختها، يعني تبيعك بالرخيص."

وائل: "هو أبو بلاش يزعل لو اتباع بالرخيص."

شعر وائل بالتأثر، ودموعه في عينيه، ووجهه متأثر. قال كريم بتعاطف: "يا وائل، يا حبيبي، إنت دلوقتي دكتور ومهم بكل المقاييس. مقياس المجتمع إنت دكتور، ومقياس العلم إنت شاطر. إيه يا حبيبي محسسك إنك ببلاش؟"

وائل: "هو أنت ناسي إني لما اتعاملت مع واحدة على إنها القاعدة الثابتة الوحيدة في حياتي، باعتني ببلاش حرفياً، ببلاش."

تأثر كريم بشدة، وشعر أن الذي أمامه ليس أخاه بل بقايا من روحه يناقش حطام جسده وروحه. لاحظ كريم أن وائل فقد الكثير من وزنه مؤخراً، فقام بهدوء وقال: "بص، أنا في ضهرك، يا بني، في أي قرار. لكن أنا شايفك أكرم من كده. ماتقلقش، أنا معاك حتى لو هتعمل إيه."

رن تليفون وائل، فوجد ندى تتصل. رد وائل بعدما أشار إلى كريم بالانتظار والصمت قليلاً.

وائل: "الو، أيوة يا ندى."

ندى: "وائل، أنت ما بتحبنيش؟"

وائل: "مين قال كده؟"

ندى: "إنت ما اتصلتش بيا، ولو ما سألتش عنك، ما بتسألش. هو إنت بجد حاسس إني فارضة نفسي عليك؟"

وائل: "مش يمكن مش فاضي أو متضايق أو مخنوق أو فاضي وكويس بس مش عايز أكلم حد؟"

ندى: "حتى أنا."

وائل: "حتى أنا مش إنتي بس."

ندى: "طب بص، يا بني، أنا بحبك بجد. خد وقتك، اهدى، وأنا في انتظارك. سلام."

أغلقت ندى الهاتف قبل أن ينطق وائل بكلمة أخرى.

كريم: "دي مالها دي كمان؟"

وائل: "بتحبني، يا أخي."

كريم: "هي مين اللي بتحبك، يا وائل؟"

وائل: "ندى."

كريم: "يا بني، مش أنت قولتلي هتتجوز هدى؟ ولا أنت اتلخبطت؟"

وائل: "لا، ما اتلخبطتش. ندى بتحبني وهتجوز هدى."

كريم: "أيوة، أنا عارف النكتة دي."

وائل: "نكتة إيه؟"

كريم: "مرة واحد حب واحدة، اتجوز أختها عشان يشوفها كل يوم."

وائل: "على فكرة، مش بهزر."

شعر كريم بالاستياء من وائل جداً، فحاول جاهداً السيطرة على ملامح وجهه كي لا يؤثر على وائل أكثر مما هو متأثر، فقال بهدوء: "وائل، عندك مانع

ننزل نكمل كلامنا على البحر؟ حاسس إني هنا حران، وأنا في الحر مش بفهمك."

وائل: "لا، ما عنديش مشكلة. يلا، اجهز ونتحرك."

قام الإخوان ليستعدا للنزول، لكن كان في قلب كريم أن يقترح على وائل أن يذهب إلى طبيب نفسي لأنه يفكر كما يفكر المخرفون. فقرر أن يصمت كي لا يجرح ويخسر أخاه.

الفصل الثالث والعشرون

وصل وائل وكريم إلى الشاطئ، وعندما بدأ كريم في فتح موضوع زواج وائل، أشار له وائل بهدوء ليتوقف، قائلاً: "كريم، لما أقدر أتكلم، هقولك. اسكت دلوقتي، وقعد شوية رايق كده، ولما أقدر أتكلم هتكلم."

ظهرت على كريم الحيرة وفقدان الأمل من أخيه، لكنه احترم خصوصية وائل، فظل صامتاً. بعد عدة ساعات، ربما ثلاث أو أربع ساعات، وجد كريم وائل يتحدث كمن يستأنف الحديث لا يبدأه:

وائل: "أصل بص، الصدمة بتيجي منين؟ بتيجي من توقعنا لموقف أو شيء أو شخص، ونقابل واقعه فنتصدم. إنما لو أنت رحت مكان أو تعاملت مع شخص، معندكش ليه تصور أو مش شايف إن فيه أمل، فلا يمكن هتتصدم. زي إيه؟ زي إنك تشارك شخص أنت متأكد إنه حرامي، وتكتشف إنه سرقك. هتعالج الموقف بقضية، بقى بورق، لكن عمرك ما هتتصدم. لأن يا صديقي، اللي وصل القاع هو على أصلب أرض ممكن يوصلها، لأنه لا يمكن ينزل تاني. فلا يمكن يخاف يروح عامل إيه بقى؟ يبني بيت في القاع، ويفتح شركة صغيرة كده تستورد من المرتقيين، عشان يبقى فاهم إنه في القاع بس عايش عادي. فده بقى اللي عملته. نزلت للقاع واستقريت، الحمدلله، وهتجوز."

كريم: "يعني أنت عارف إن ده القاع وإنه أحط اختيار؟"

وائل: "طبعاً."

كريم: "وأنت فاهم ده وبدل ما تحاول ترتقي فعلاً وتبدأ من جديد، نزلت بنيت مستقبلك في القاع، يا دكتور."

وائل: "والناس اللي في القاع كان مين مد لهم إيده؟ يا بني، أنت فاهم هدى دي شايفة نفسها إيه وبتتعامل مع نفسها إزاي؟ دي اللي يحترمها يبقى أداها حياة جديدة. وأنا عندي طاقة أحترمها، وهي هتعيش معايا الحياة اللي أخدتها مني. فهتبقى علاقة متساوية وناجحة جداً."

كريم: "بص، هو الكلام مقنع بس في الواقع ساذج قوي. بس عموماً، يا وائل، تمام اللي تشوفه لحد ما أتأكد إنك مش بتهزر. ألف مبروك."

استفاق وائل صارخاً، ففزع كريم من نومه.

كريم: "مالك، في إيه؟"

وائل: "حلم مزعج قوي."

كريم: "حلم إيه اللي يخضك قوي كده؟"

تذكر وائل حلمه فتغيرت ملامح وجهه، وقال بتردد: "مفيش، نام انت. أنا آسف على الإزعاج ده."

قام وائل خارجاً من غرفة الفندق إلى الشاطئ، ومعه مذكراته وكتب بيد مرتعشة:

"شوفتك في حلم، شكلك غريب. كإنك بعد الشر عليكي بتحرقي، معرفتش الحقك في الحلم، حضنتك، نارك مسكت فيا، ما ارتحتش. لا، خوفت، مش عارف، أنا منزعج دلوقتي. تخيلي، جه عليا اليوم اللي لما أشوفك، أنزعج بعد ما كنت زمان لما أقولك إني خايف، بتطمن. كنت بدور على عينك وأنا مرعوب، برتاح. والنهاردة، خوفت. خوفت منك أو من شكلك أو من النار، معرفش بس خوفت."

جاء صوت هامس في أذن وائل، "كنت حاسة إن فيك حاجة، وإني هلاقيك هنا."

انتفض وائل بشكل ملحوظ، فربتت هدى على كتفه وقالت: "إيه ده، في إيه يا وائل؟"

وائل: "مفيش، حلمت حلم مزعج بس."

هدى: "طب ما تحكيلي، يا حبيبي، حلمت بإيه؟ أنا جنبك وعايزة أسمعك."

قرر وائل أن يقول لهدى ما يسر قلبها، فقال: "حلمت إنك بتروحي مني، اتفزعت."

هدى: "إزاي، يا حبيبي؟ مش فاهمة."

وائل: "حلمت إنك راكبة قطر، وأنا على رصيفه، وعايز أوصلك، مش عارف. جريت كتير لحد ما لمحت عينك من شباك القطر، وما لحقتش أركب."

تأثرت هدى من دموع وائل المحبوسة في زنزانة عينيه، بينما كان وائل يجتهد لإخفاء الحقيقة وراء دموعه الكاذبة. لكنه افتخر قليلاً بسرعة بديهته وكيف ألف هذا الافتراض بسرعة.

أغمض عينيه، وتنهد كأنه تخلص من سؤال مصيري. وفي سرحانه، اشتم رائحة جميلة. فتح عينيه، ووجد نفسه في حضن هدى، لا يدري متى أدخلته حضنها، وكيف لم يضف إلى شعوره أي شعور. هل هدى تحبه حباً عميقاً، فحين احتضنته لم يشعر بشخص غريب اقترب منه، أم إنه لا يراها ولا يشعر بها، فلم يشعر حتى بحضنها؟

الفصل الرابع والعشرون

استفزت كلمات وائل جميع الحاضرين، وكأن صدى صوته وهو ينطق "وأنا قبلت الزواج منها" قد انفجر كقذيفة في أجمل مكان في مدينتهم. وقع كلامه عليهم كقنبلة، فجرّت مشاعرهم، وأثارت استياءهم واحتقارهم. لم يكن هناك من يشعر بالسعادة بينهم.

تم زواج وائل وهدى بعد يومين من عودتهما من دهب، وكان عدد الحاضرين لا يتعدى العشرين شخصاً. والمستفز للجميل، كان ثقة وائل في تصرفه، وكأنه نجح في مهمة صعبة على الجميع. وقف ليصافح المدعوين، صافحه الجميع دون النظر إلى عينيه، عدا كريم الذي صافحه وهو ينظر إلى عينيه نظرة تشبه الوداع والحسرة، كمن نظر نظرة لميت.

ذهب الجميع بصمت، وأغلق وائل بابه عليه وعلى زوجته الغريبة هدى. تنهد وكأنه استراح من ذهاب الحاضرين، وأخيه بالذات. تقدم نحو هدى بهدوء ورومانسية لا يعلم إن كانت حقيقية أم مصطنعة. حرك أطراف أصابعه على خدودها وخصلات شعرها وقال:

"مبروك يا حبيبتي."

هدى: "الله يبارك فيك يا حبيبي."

تنهدت ودمعت عينها، صمتت كثيراً ثم قالت: "كنت حاسّة مستكترينك عليا. بس أقولك يا وائل، أنت فعلاً كتير عليا. أنا مكنتش أحلم بزوج زيك ولا حبيب بنص مشاعرك."

وائل، متحيراً فيما تقوله هدى، تساءل: هل هو فعلاً يمتلك مشاعر قيمة بهذه الدرجة؟ أجاب بصوت عاطفي:

"لا يا حبيبتي، بالعكس، ده أنا كتير عليا أعيش معاكي يوم واحد. يوم إيه؟ ساعة واحدة كتير على أي حد."

هدى: "أنت شايف نفسك وشايفني."

وائل: "يعني إيه شايف نفسك وشايفني؟ يا بنتي، ده أنا ما شوفتش نفسي غير لما شوفتك. أنت حب عمري، يا هدى."

ومع آخر حرف نطقه، طرق الباب بعنف. تحرك بسرعة بعدما خرجت هدى من حضن زوجها وفتح الباب، فوجد ندى واقفة، بادياً على وجهها علامات غضب كمن جاء ليأخذ بثأر:

"مبروك يا دكتور. مبروك عليك ال..."

صمتت ندى وهي تنظر إلى هدى باحتقار، ثم أكملت بغل:

"بس أقولك إيه، هو أنت مالكش أكتر من كده. ده أخرك، لأنك قليل قوي وما تعرفش تكون غير قليل."

وقبل أن تكمل حديثها، أغلق وائل باب شقته في وجه ندى، وعاد كمن غفى، وما حدث كان مجرد حلم. عاد إلى حضن هدى وهمس في أذنها بكلام أتى إلى قلب هدى فرحاً، ولوجهها ابتسامة.

وفي طريق العودة، كان كريم وهمسة صامتين كأنهما عائدان من جنازة، لا فرح في قلوبهما.

همسة: "شايف اللي وائل عمله إزاي؟"

كريم: "مش عارف، مكسوف أقولك بصراحة شايفه إزاي."

همسة: "لا قول، أنا مش قادرة أفهم."

كريم: "وائل، وهو طبيب نفسي، في أمس الحاجة إنه يتعالج نفسياً. أنا آسف يا همسة، ما قصدش أقلل من هدى أو حاجة، بس تصرفاته مختلة بقاله شوية. ولما سافرنا، حسيته محتاج لراحة، رجع بقرار يخليه يرجع لورا حرفياً عشرين سنة."

همسة: "أنا عارفة إنك مش قاصد حاجة، وعارفة إنك مراعي إن هدى قريبتي، بس أنا مش عارفة ليه هو يفكر كده. لو عايز يتجوز وخلاص، كان شاف واحدة زميلته أو من عيلته أو من معارفه. لو هنسى خالص إن هدى قريبتي، ليه يتجوز واحدة يوم ما عرفها، وهي مريضة بتحاول تنتحر بعد ما خانت أختها مع جوز أختها؟"

شعر كريم بحرج من كلمات همسة، فقال بهدوء: "ما عنديش أزمة إنها تبقى فترة في حياته، وإنه يكون قرر يعدي بيها مرحلة عشان يديها أمل تعيش. بس هخاف عليه لو قرر إن دي شكل حياته اللي يحب يعيشها."

ابتسمت همسة برقة وقالت: "بقولك إيه، ما تيجي ننزل نتمشى شوية، أنا مخنوقة."

ومن دون أن يرد كريم، فتح باب سيارته، وتوجه نحو بابها، وأمسك يدها قبلها، ثم تحرك بها بهدوء بسبب كعبها العالي وفستانها الأسود. ومشيا متشابكي الأيدي حتى غاب القمر.

الفصل الخامس والعشون

استأنف وائل عمله بعد فترة انشغاله بالسفر وزواجه. عاد إلى المصحة، ولكنه شعر بشيء غريب في بنصره تذكره بخاتم زواجه بزوجته الحبيبة، كما اعتاد أن يناديها.

كان مشغولاً بخاطره واهتمامات أخرى، ففوجئ عندما اكتشف أن موبايله كان مغلقاً. قلق كثيراً على زوجته، وبدأ يتصل بها مراراً وتكراراً، دون جدوى. شعر بقلق شديد، ولم ينتبه إلى من يتحدث معه في المصحة، فقام بسرعة وركض إلى منزله. كان الوقت الذي استغرقه بين المصحة وشقته قليلاً، لكنه احتوى على عدد كبير من المكالمات المفقودة. وجد الطريق مزدحماً، فترك سيارته على جانب الرصيف وركض إلى بيته.

فتح باب الشقة، ووجد هدى واقفة في منتصف الغرفة، مندهشة وقالت:

"وائل، مالك يا حبيبي، في إيه؟"

وائل: "في إيه، أنتِ؟ أنا اتصلت بيكي أكتر من خمسين مرة!"

هدى: "اتصلت بيا أنا؟"

وائل: "أيوة، حتى شوفِ الموبايل."

فتح وائل الموبايل وذهب إلى سجل المكالمات، ليفاجأ أنه كان يتصل برقم امرأة أخرى، وليس رقم هدى. وجد فعلاً واحداً وخمسين اتصالاً، لكن للمرأة الأخرى. حاول أن يسيطر على الموقف، وقال لها:

"أنتِ عندك حق، الموبايل فعلاً فيه مشكلة أو أنا اللي متلخبط. المهم، يا حبيبتي، أنك وحشتيني وقلقت عليكي جداً."

تقدم نحوها، وأحاط وجهها بكفيه، وقبل رأسها وجبينها، وجعلها تضع رأسها على كتفه، كما تحب، وكأنه يشعر للحظات أنها ابنته.

ذهب إلى الغرفة التي خصصها لنفسه كمكتب مستقل، أو بالأحرى كمكان يقضي فيه وقته مع هدى. أغلق باب المكتب وجلس يفكر:

"هي مين دي؟ وأنا مين؟ مش أنا من شوية كنت عندي أربعة عشر سنة وكنت عايز لما أكبر أبقى دكتور ونتجوز؟ النهاردة بقيت دكتور ومتجوز، بس مش هي. طب خلاص، بقى، أنساها. إيه اللي يخليني أفكر فيها؟"

فجأة، تذكر أنه حاول الاتصال بمراته، ولكن الهاتف كان مغلقاً. رن تليفون المكتب، رفع وائل السماعة، فوجد صوتها يقول:

"الو يا وائل، عامل إيه؟"

وائل: "إيه ده؟ أنتِ..."

تنهد وائل، واغمض عينيه، وقال:

"يااااه، أخيراً. فاكرة لما كتبت لك قريب قوي إنني شفتك في حلمي، خوفت منك؟ على فكرة، ما خوفتش منك، خوفت عليكي قوي. كان نفسي نارك تسيبك وتحرقني أنا. عندي بس سؤال واحد: أنا عملت إيه حسسك إنني مستاهلكيش؟ ده أنا بفتح عيني كل صبح أقول ياريته حلم، وإنك زي ما أنتي، وأنا زي ما عرفتني، وقبلتني. بس بقولك إيه، أنتِ وحشتيني قوي، قابليني فين أو اشوفك إزاي؟ أنا اتجوزت، آه، بس والله ما في قلبي غيرك."

جاء صوتها يقول:

"أمال اتجوزتها ليه، وانت عارف إنني بحبك وكنت أحب أكون مراتك؟"

وائل: "معرفش. أنا لاقيت نفسي متجوز فجأة، معرفش إيه حصل. عارفة لما يقوم زلزال أو ينفجر بركان؟ كارثة طبيعية مفاجأة. قوليلي، أعمل إيه دلوقتي، وأنا مش متخيل حياتي من غيرك. أنا عايزك معايا. أنا بحبك أنتِ."

صوتها: "طب ومراتك؟"

وائل: "معرفش، المهم عندي أنتِ. بص يا وائل، شكلك تعبان. هسيبك دلوقتي، عشان أصلاً صوتك متغير كأنك ملبوس واللي عليك بينطق. لما هدى تكون جنبك، قُل لها ندى سألت عليكي، إحنا في الأول والآخر أخوات."

وائل: "ندى؟!!!"

فوجد الاتصال قد انتهى.

الفصل السادس والعشرون

غفا وائل بعدما وضع سماعة الهاتف، ورأى في حلمه وجها مظلماً لا يرى منه ملامح. اقترب هذا الوجه في ظلام قاتم وطبّع على جبهة وائل قبلة، وهمس في أذنه:

"أيوة يا حبيبي، بحبك وماتخافش، أنا مش بعيدة. أنا جنبك، أنا جواك، أنا روحك. ومهما بعدت، يا روحي، عندك هتفضل روحي. أوعى تفتكر أني نسيتك، أو أن في حد يملأ عيني غيرك."

سمع وائل كلاماً كثيراً، لكنه لم يفسره بسبب القشعريرة التي سرت فيه بسبب أنفاس الوجه في أذنه. ابتسم وائل بهدوء وجنون، فتح عينيه وهو يشعر بسخونة أنفاس الهمس وقبلته.

فهم وائل أن المرأة المحبوبة لديه ليست من كل النساء اللاتي عرفهن. ربما تكون روحاً مطلقة، أو طفلة ستولد قريباً، أو امرأة كانت وماتت. ومن هذا اليوم، بدأ وائل يشعر بوجودها معه وهو وحيد.

ظل يغلق باب مكتبه كثيراً، أو يجلس في سيارته وحيداً، ثابتاً في مكانه، يحاورها.

تحدثت هدى مع كريم وهمسة ليأتوا ويروا ما بزوجها الغريب.

هدى: "معرفش ماله يا كريم. قاعد 24 ساعة لوحده في مكتبه أو في العربية، بطل يروح الشغل، بطل يطلع يقعد معايا. مش عارفة ماله."

همسة: "طب في حاجة مضايقاه؟"

هدى: "يقول لو في حاجة مضايقاه، ما يقولي طيب."

كريم: "طب، ده من إمتى؟"

هدى: "بقاله عشر أيام تقريباً."

كريم: "طب ينفع تخبطي عليه وتقوليله إننا هنا؟"

هدى: "اتفضل ادخل أنت، خبط عليه وسبلي همسة، اتكلم معاه أنت، أنت أقرب حد ليه يا كريم. ولو في حاجة ناحيتي، أو حس إنه استعجل إنه اتجوزني، ينفع ننفصل بهدوء بس يعيش كويس."

قام كريم، القلق على أخيه، وطرق باب مكتبه، ولم يسمع أي رد. تحول الطرق إلى اقتحام للمكتب. فوجد وائل مبتسماً، ناظراً لسقف الغرفة وعيناه لا تتحركان.

صرخ كريم منادياً وائل:

"وائل!"

رد وائل بهدوء:

"كريم! إزيك يا حبيبي، اتفضل."

كريم: "اتفضل إيه، أنا بقالي كتير بخبط."

وائل: "معلش يا كريم، كنت قاعد مع روحي شوية."

كريم: "مفيش معلش ولا حاجة. أنت كويس؟"

وائل: "آه، كويس، ماتقلقش."

كريم: "أمال إيه شكلك ده؟"

نظر وائل إلى هيئته، وجد ملابسه متسخة لدرجة غير معتادة، فقال:

"معلش، بفكر في موضوع شاغلني."

كريم: "تحب نتناقش سوا؟"

وائل: "آه طبعاً، اتفضل."

جلس وائل وبدأ حديثه، فأعطى كريم انطباعاً سريعاً:

"هتجنن يا كريم، هتجنن. في واحدة بتجيلي، هموت وأعرف اسمها، نفسي أناديها."

ظن كريم مئات الظنون، لكنه افترض أن وائل على علاقة بامرأة أخرى غير هدى.

كريم: "واحدة؟ شوفتها فين؟"

وائل: "بتجيلي هنا في المكتب، في العربية، في أي حتة بكون فيها لوحدي. بتيجي تحضني وتبوسني وتوشوشني بكلام بيخليني مش عايز حاجة من الدنيا. بقولك إيه، ينفع أطلب منك طلب بس تنفذه ضروري؟"

بدأ كريم يقتنع أن وائل فقد اتزانه. كأخيه الأكبر، قال له:

"اتفضل."

وائل: "ماتعرفش حد يوصلنا بشيخ أو حد يكون له علاقة بالأرواح يعرفلنا مين اللي بتيجي تقعد معايا دي."

ذهل كريم وصمت تماماً.

وائل: "أنا مش عايزك تستهون بالموضوع ده."

ثم فجأة ابتسم وائل جداً، ولمعت عيناه، ووقف ببطء وهو يقول:

"أهي جات. إزيك يا روحي، وحشتيني. اتفضلي، ده كريم أخويا، مش غريب."

قام كريم مذهولاً، متحسراً على أخيه الذي بدا عليه الجدية والاقتناع. خرج كريم بخطوات ثقيلة جداً، وأغلق باب مكتب وائل عليه وعلى "روحه".

ذهب مكسوراً إلى همسة وهدى وقال:

"همسة، يلا."

هدى: "ها يا كريم، عرفت وائل ماله؟"

كريم: "مالوش، سيبوه بس، وهو هيبقى كويس."

لاحظت همسة أن كريم يداري دموعه بمجهود، فأخذت حقيبة يدها، وأمسكت يد كريم فوجدته مرتجفاً. صمتت وربتت على يديه كأم تهدئ ابنها الصغير، وذهبت معه إلى بيتها، حيث غلبته دموعه في الطريق. وظلت همسة تربت عليه بصمت.

الفصل السابع والعشرون

غفا وائل بعدما وضع سماعة الهاتف، ورأى في حلمه وجها مظلماً لا يرى منه ملامح. اقترب هذا الوجه في ظلام قاتم وطبّع على جبهة وائل قبلة، وهمس في أذنه:

"أيوة يا حبيبي، بحبك وماتخافش، أنا مش بعيدة. أنا جنبك، أنا جواك، أنا روحك. ومهما بعدت، يا روحي، عندك هتفضل روحي. أوعى تفتكر أني نسيتك، أو أن في حد يملأ عيني غيرك."

سمع وائل كلاماً كثيراً، لكنه لم يفسره بسبب القشعريرة التي سرت فيه بسبب أنفاس الوجه في أذنه. ابتسم وائل بهدوء وجنون، فتح عينيه وهو يشعر بسخونة أنفاس الهمس وقبلته.

فهم وائل أن المرأة المحبوبة لديه ليست من كل النساء اللاتي عرفهن. ربما تكون روحاً مطلقة، أو طفلة ستولد قريباً، أو امرأة كانت وماتت. ومن هذا اليوم، بدأ وائل يشعر بوجودها معه وهو وحيد.

ظل يغلق باب مكتبه كثيراً، أو يجلس في سيارته وحيداً، ثابتاً في مكانه، يحاورها.

تحدثت هدى مع كريم وهمسة ليأتوا ويروا ما بزوجها الغريب.

هدى: "معرفش ماله يا كريم. قاعد 24 ساعة لوحده في مكتبه أو في العربية، بطل يروح الشغل، بطل يطلع يقعد معايا. مش عارفة ماله."

همسة: "طب في حاجة مضايقاه؟"

هدى: "يقول لو في حاجة مضايقاه، ما يقولي طيب."

كريم: "طب، ده من إمتى؟"

هدى: "بقاله عشر أيام تقريباً."

كريم: "طب ينفع تخبطي عليه وتقوليله إننا هنا؟"

هدى: "اتفضل ادخل أنت، خبط عليه وسبلي همسة، اتكلم معاه أنت، أنت أقرب حد ليه يا كريم. ولو في حاجة ناحيتي، أو حس إنه استعجل إنه اتجوزني، ينفع ننفصل بهدوء بس يعيش كويس."

قام كريم، القلق على أخيه، وطرق باب مكتبه، ولم يسمع أي رد. تحول الطرق إلى اقتحام للمكتب. فوجد وائل مبتسماً، ناظراً لسقف الغرفة وعيناه لا تتحركان.

صرخ كريم منادياً وائل:

"وائل!"

رد وائل بهدوء:

"كريم! إزيك يا حبيبي، اتفضل."

كريم: "اتفضل إيه، أنا بقالي كتير بخبط."

وائل: "معلش يا كريم، كنت قاعد مع روحي شوية."

كريم: "مفيش معلش ولا حاجة. أنت كويس؟"

وائل: "آه، كويس، ماتقلقش."

كريم: "أمال إيه شكلك ده؟"

نظر وائل إلى هيئته، وجد ملابسه متسخة لدرجة غير معتادة، فقال:

"معلش، بفكر في موضوع شاغلني."

كريم: "تحب نتناقش سوا؟"

وائل: "آه طبعاً، اتفضل."

جلس وائل وبدأ حديثه، فأعطى كريم انطباعاً سريعاً:

"هتجنن يا كريم، هتجنن. في واحدة بتجيلي، هموت وأعرف اسمها، نفسي أناديها."

ظن كريم مئات الظنون، لكنه افترض أن وائل على علاقة بامرأة أخرى غير هدى.

كريم: "واحدة؟ شوفتها فين؟"

وائل: "بتجيلي هنا في المكتب، في العربية، في أي حتة بكون فيها لوحدي. بتيجي تحضني وتبوسني وتوشوشني بكلام بيخليني مش عايز حاجة من الدنيا. بقولك إيه، ينفع أطلب منك طلب بس تنفذه ضروري؟"

بدأ كريم يقتنع أن وائل فقد اتزانه. كأخيه الأكبر، قال له:

"اتفضل."

وائل: "ماتعرفش حد يوصلنا بشيخ أو حد يكون له علاقة بالأرواح يعرفلنا مين اللي بتيجي تقعد معايا دي."

ذهل كريم وصمت تماماً.

وائل: "أنا مش عايزك تستهون بالموضوع ده."

ثم فجأة ابتسم وائل جداً، ولمعت عيناه، ووقف ببطء وهو يقول:

"أهي جات. إزيك يا روحي، وحشتيني. اتفضلي، ده كريم أخويا، مش غريب."

قام كريم مذهولاً، متحسراً على أخيه الذي بدا عليه الجدية والاقتناع. خرج كريم بخطوات ثقيلة جداً، وأغلق باب مكتب وائل عليه وعلى "روحه".

ذهب مكسوراً إلى همسة وهدى وقال:

"همسة، يلا."

هدى: "ها يا كريم، عرفت وائل ماله؟"

كريم: "مالوش، سيبوه بس، وهو هيبقى كويس."

لاحظت همسة أن كريم يداري دموعه بمجهود، فأخذت حقيبة يدها، وأمسكت يد كريم فوجدته مرتجفاً. صمتت وربتت على يديه كأم تهدئ ابنها الصغير، وذهبت معه إلى بيتها، حيث غلبته دموعه في الطريق. وظلت همسة تربت عليه بصمت.

الفصل الثامن والعشرون

ذهب كريم الى الدكتور سعد استاذ وائل الذي كان مؤمنا به جدا

قص كريم على الدكتور ما حدث لوائل تكلم بدموع محبوسة ظلما تريد الفرار من قضبان اجفانه لكنه كان حريصا ان لا يغلق عينيه لحظة كي لا تهرب منه دموعه وهو يتكلم عن اخوه الذي يتكلم وهو ميت

سعد : بص يا كريم هقولك حاجة و بناء عليه هتفق معاك هتكلم ازاي

كريم: اتفضل

سعد : تحب اكلمك باسلوب الطبيب ولا الفنان انا عارف انك مخرج و هتفهم اكتر لو صورتلك حالة وائل

كريم : اسمح لي يا دكتور ينفع تكلمني بالطريقتين

انزل سعد نظارته قليلا عن عينيه و قال

مش بعمل كدة بس عشان دكتور وائل هنعتبرك جاي بواسطة

بص يا كريم التصوير الفني الجامد ده

صمت قليلا رفع يده تحت وجهه وقال بثقة

اه ، بص يا كريم الانسان مخلوق بصفات ينفع تتطور و تنضج و صفات غير متطورة خالص و مهما مر عليه الزمن بتفضل زي ما هي

يعني مثلا الشخص الكريم اللي زيك ممكن مايكونش طول عمره كريم احتمال يكون زمان كان بخيل و اكتشف أن ده عيب و قرر يغيره لكن في صفة ان الانسان بياكل و يشرب وينام دي صفات الانسان الطبيعي

واحدة بقى من الاحتياجات او الصفات اللي مش بتتغير في الانسان هو احتياجه للاشفاق يعني ببساطة شوفت الطفل لما يتخبط في ايده و يبكي اوي

و ييجي لابوه او امه رافع ايده عشان وجعته فالاب يبوس ايد الطفل تلاقي الولد بطل عياط

تفتكر الوجع اختفى فجاة قطعا لا

بس الألم اللي حس بيه اتساوى بالشفقة او التعاطف اللي اتقدمله

ولو حضرتك افتكرت كل مرة قولت فيها انا تعبان هتفتكر ان عمرك ما قولتها بهدف انهم يريحوك في احتياج عميق جواك ان اللي يسمعك يطبطب عليك و يقولك انا مقدر

طب اقولك

انت ليه لما بتتخنق بتحكي لناس معينة ؟ عارف ليه

مخك بيترجم مين هيتعاطف و يخليك تحكيله بالاسلوب اللي يخليه يقدملك دعم معين

و ده التصوير الفني

التشخيص الطبي يا صديقي بقى

عارف ايه اول حاجة بتحصل لو مريض قلبه وقف

كريم : اه بتعملوا صدمات كهربائية للقلب عشان يرجع يشتغل

سعد : هايل

عمرك سألت نفسك ايه علاقه الانسان بالطاقة او بالكهربا بالاخص

ما الانسان طاقة و الكهربا طاقة

الانسان يخترع الكهربا عشان تخدمه ف فجأة يلاقي الكهربا بتعيده للحياة و مش بس كدة يا كريم

المخ عند لحظة معينة من الخلل بيلزم له كهربا من برة عشان ترجعه زي ما كان و تظبطه

ف الكهربا بترجع القلب يعيش و ترجع المخ يعيش و مع ذلك الانسان هو اللي اخترعها

اقصد ايه بقى من كل ده يا سيدي

وائل لما مالاقاش التعاطف الكافي للصدمة او للوجع اللي مر بيه كهربة مخه حصل فيها مشكلة

انا لا أجزم ده لاننا لسة محتاجين آشعة لكن بحكم خبرتي اقدر اقولك ان ده اللي حصل

هنديله ست جلسات كهربا و بعدها هيرجع طبيعي جدا

صمت كريم و هو يشعر براية جفونه البيضاء ترتفع و تعلن انهزامها وبدا في البكاء

سعد : لا يا كريم ركز معايا انت مدة بتزود مش بتحل

رد كريم بحرقة و قهر

لما وائل العاقل الدكتور العبقري يقعد على جهاز جلسات الكهربا مين يفضل بعقله يا دكتور ؟؟؟

الفصل التاسع والعشرون

صراخ و صدى صوت صارخ من بعيد ، لم يكن الصراخ مجرد ألم، بل كان يحمل خيبة أمل وصدمة. بالرغم من ثلاث محاولات لتخديره، لم يكن وائل في حالة تخدير تام، بل كان في كامل وعيه، لكنه كان مرهقاً لدرجة أنه لم يكن قادرًا على الرد رغم أنه كان يدرك ما يحدث حوله. كانت الجلسة السادسة والأخيرة بالنسبة له.

هذا ما قاله كريم لهمسة عن حالة وائل المحطمة. بالرغم من تحسن الأشعة، إلا أن وائل ظل صامتاً طوال الوقت.

في اليوم التالي، ذهب كريم وهمسة إلى هدى ليطمئنوا على وائل، فوجدوا هدى تبكي كمن يبكي لفراق ميت. توقفت نبضات كريم لثوانٍ، وركض ليرى إن كان وائل قد مات.

لكن هدى قالت: "اطمئن يا كريم، وائل كويس، أنا اللي مش كويسة."

كريم: "في إيه؟ إيه اللي حصل؟"

هدى: "وائل نزل بدري جداً. قدم استقالته وجاء هادئاً جداً، وقعد يكتب في مكتبه. بعد ساعتين تقريباً، قام بهدوء وطلقني وخرج. لكن شكله لم يكن طبيعي يا كريم."

كريم باندهاش: "طلقك؟ طلقك ليه؟ ده إنتي شايلاه وقت تعبه."

لم ترد هدى، بل ارتمت في حضن همسة وظلت تبكي.

قام كريم ببطء متجهاً نحو مكتب أخيه ليرى ما كتب. فوجد مذكرات وائل مغلقة وفي وسط صفحاتها قلم. فتح المذكرات وقرأ:

"أيوة، أنا لازم أستقيل ولازم أختفي خلاص. أروح أعالج حد إزاي وأنا نفسي بتعالج؟ أنا مينفعش أكمل في شغلي. تخيل كده، جيت أكتب دوا لمريض، راح سألني: وده جاب معاك نتيجة يا دكتور؟ أبص في وشهم إزاي؟ وبعدين، إيه اللي أنا عملته في نفسي ده، وإيه الست اللي اتجوزتها دي؟ أجمل ما في الجواز إنك تبقى مرتاح أن اللي اتجوزتها مش هتفكر في غيرك ولا في يوم هتسيبك وتخيب ظنك. فمن دون الناس، أروح أتصرف مع واحدة خانت أختها مع جوز أختها، يا سلام. الموضوع ده لازم ينتهي دلوقتي."

فهم كريم أن هذه الرسالة كانت أشلاء من عقل أخيه، وأن وائل العاقل المفكر قد انتهى تقريباً.

بعد ساعات من محاولات الاتصال به، تلقى كريم اتصالاً يخبره أن وائل قد أصيب في حادث سير ونُقل إلى قصر العيني. ذهب كريم إليه راكضاً، فوجد وائل محطمًا تماماً، يتحدث بكلام غير مفهوم، لكنه استطاع أن يفهم كلمة واحدة قالها وائل:

"ماما، أنا خايف. ينفع تيجي تقعدي معايا؟